وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس - المدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

البعد الديني في الرحلة الورثيلانية رحلة "محمد الخضر حسين أنموذجا"

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
- عبد القادر بوسهوة

إشراف الأستاذ:
* د/ محمد رغميت

السنة الجامعية: 2025/2024


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"

سورة ابراهيم آ: 07.

سبحان من سخر لنا هذا ووفقنا بقدرته لهذا الإنجاز

كما لا يسعني أن أتقدم بالإمتنان الشديد والشكر والعرفان الجزيل لحضرة الأستاذ المشرف على هذا العمل "حفظه الله ورعاه بفضله *رغميت محمد*

لإشرافه ومتابعته وتوجيهه للمذكرة من خلال مساندته لإنجاز هذا البحث والدراسة..

كما أشكر أساتذة لجنة المناقشة..

وكل من كانت له يد في مساعدتي طوال مشواري الدراسي..

إلى كل الخيرين والمساهمين في إنجاح هذا العمل والوصول به..

إلى ما نصبوا إليه.. إلى كل طاقم كلية الآداب واللغات

جامعة الدكتور يحي فارس

من رئيس الجامعة والأساتذة الأفاضل

وكافة العمال وإلى كل من قدم لي العون والمساندة من قريب أو من بعيد..

إهداء

"الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى "ﷺ

أما بعد أود أن اهدي هذا العمل المتواضع

إلى سندي وأعز ما أملك من حملتني في بطنها

وتحملت المشاق من أجل أن أصل إلى هذه المرحلة

والدتي العزيزة ساندها الله عز وجل وحفظها وأطال في عمرها..

إلى روح الغالي والسند الذي كان دائما بجواري..

أبي رحمة الله تعالى عليه وغفر له..

إلى إخوتي كل بإسمه..

إلى زوجتي رفيقة دربي..

إلى ولديا الغاليين..

إلى جميع العائلة الكبيرة كل بإسمه أهدي هذا الإنجاز..

* عبد القادر *

مقـــدمـــة

مقدمة:

أدب الرحلات نوع من الأدب يصور فيه الرحالة ما جرى له من أمور وما صادفته من أحداث أثناء الترحال، يولد الإنسان مفطورا على حبه للاكتشاف وحب المغامرة والارتحال للاكتشاف ذاته ولفك حجب الإسرار من خلال وأثناء الرحلة التي قام بها لأحد البلدان أو الأقوام وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية، وما صوره مباشرة فهو من رحلته يؤسس لحوار بينه وبين المجهول على اعتبار أن الرحلة هي مغامرة غير مضمونة العواقب وما سينجر عنها، ويبقى الفضول الإنساني هو حلو الرحلة ومتعتها.

فهي فضاءات للتجربة وتفاعل البعد الذاتي للآخر وتجسد الراوي في هذا القطب الأوامر والرؤى والمشاهدات التي عاشها وهو رحالة في نص رحلي ذي بناء واضح يتضمن بنايات ومعطيات من خلالها حضور الذاكرة التي انتقت تفاصيل وحوارات وأحداث في مسيرة معظم الرحلة تحت مسمى أدب الرحلات التي تندرج تحتها مجموعة كبيرة من الكتابات المختلفة في نواح متعددة من حيث أسلوب الكاتب والجمهور الذي يتوجه إليه الكاتب، واهتمامات كل منهما الكاتب والجمهور وهذه الكتابات تشترك في أنها تضمن الرحلة التي يقوم بها رحالة ما إلى مكان وبلد ما لسبب في نفسه.

ولطالما ارتبطت الرحلة بفن الحكي وتقنية السرد الذي بدوره ارتبط ارتباطا وثيقا بزمن الليل، حينما كان الإنسان في عصور مضت يبدد وحشته وسكونه وهو يتمطى عليه بصلبه كليل المغامر بحكاية مغامراته التي خاضها مرتحلا وجال الأماكن.

نشط أدب الرحلات أساسا على أيدي المكتشفين والجغرافيين الذين اهتموا بتسجيل كل ما تقع عليه أعينهم ويصل إلى آذانهم، بالإضافة إلى تسجيل رحلات الرحالة.

إن التجربة التي يصوغها الراوي هي التحقيق الفعلي للحقائق المادية المتصلة به وإدراك الأحاسيس المرافقة في كل رحلة التي يعبر عنها باسمه ونيابة عن مرافقيه، كالخوف والتعجب والدهشة...

تمثل الرحلات مصدرا مهما وأساسيا لحصول المعلومات وتعد كتب الرحلات من مصادر التاريخ والآثار ووصف للأماكن والشخصيات، بحيث تشمل انطباعات شخصية من الجانب الاجتماعي والحضاري والديني.

فالرحلة على هذه الأسس تعتبر نافذة للروح وبصيرة للأعمى بعين ترصد وتدون في تجربة تتداعى فيها الأمكنة وتتباين فيها الألسنة والأجناس.

ومن هنا وضمن هذا السياق يمكن طرح جملة من الأسئلة في سياق إشكالية البحث التالية:

– ما طبيعة البعد الديني في رحلة محمد الخضر حسين الورثيلاني؟

– وكيف انعكس ذلك على بينة السرد ودلالته الثقافية والاجتماعية؟

أما أهداف البحث فنذكر منها مايلي:

– تحقيق قراءة واضحة خصبة للنص الرحلي.

– البحث عن تعلمه الرحلة في التراث الديني وربطها ببنية النص ولفت الانتباه لدراسات مماثلة لهذا النص الرحلي.

ولبلوغ هدفنا أو غايتنا تمخضت خطة البحث على مقدمة يليها مدخل وبعدها فصلان كل فصل به مباحث.

ابتدئنا المدخل بتعريف بأدب الرحلة ثم المفهوم وكيف هو أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث وماهي خصائص الأدب الرحلي.

أما الفصل الأول الدراسة كانت حول المضامين الدينية في رحلة الورثيلاني، ووصف للعلوم الدينية والأولياء الصالحين والآثار المقدمة.

أما الفصل الثاني فكان دراسة وصفية تحليلية للمكونات السردية في الرواية من حيث الشخصيات والمكان والزمان للرحلة، وكيف كان تداخل الأجناس الأدبية فيها.

وبالنسبة للفصل الثاني ضم دراسة سردية لمجمل ما جال في الرحلة من جوانب دينية أثناء الترحال والأماكن وصفا وتحليلا والاعتماد على الجوانب الدينية خاصة في ما تعلق بالحج وما ميزه.

كما أنه لا يمكن أن ننكر أنه واجهتني صعوبات في انتقاء المراجع التي معظمها ما يتعلق بأمور الدين فهي قليلة، بالإضافة إلى نقص الدراسات التحليلية لهذه الرحلات.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة على المعلومات القيمة والمشرف الذي كان قد قدم الكثير من أجل الوصول إلى هذه النتيجة.

وفي ختام هذا العمل نرجو من المولى عز وجل أني قد وفقت في عملي هذا.

مدخل حول أدب الرحلة

1- الرحلة لغة واصطلاحا.

2- مفهوم أدب الرحلة.

3- أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث

4- خصائص الرحلة

مدخل حول أدب الرحلة:

تراوحت التسميات وتعددت، فتحدث البعض عن "أدب الرحلة"، فهي في موضوعها تميل إلى سرد أحداث باعتبارها كتابة أدبية تتوافر على مكونات وآليات كتابية تسمح لتصنيف أن يأخذ مشروعيته في خانة الأدبي، فيما هناك اسم آخر يكتفي بالحديث عن هذا اللون باسم "الرحلة" فقط يهدف إلى فتح نافذة إضافة على التاريخ، واعتبار الرحلة مصدرا هاما، وسجلا اِثينوغرافيا، يعتبر الرجوع إليه أساسيا في حقل الأنثروبولوجيا، ومادة جغرافية يجزم الجغرافيون بأن ولادتها كانت من رحم الحقل الجغرافي، وفي خضم هذا التراوح جاء نعت "الأدب الجغرافي" باعتبار الأوصاف التي رسمت عمران المدن والبلدان...

إن هذا الوضع الذي يسمح لكل فريق بالتعامل مع الرحلة من منظور حقله الدراسي، لم يطرح لحله أو للبحث عن تدقيق خانة انتسابه، مادام التجنيس العام متفقا عليه تحت اسم رحلة هذا ذلك، فإنه مؤثر على انفتاحك على خطابات يتم تنفيذها في إطار وعي يؤطره السفر، وخلفية تغذيها محددات وصياغات مشروطة لابد منها: سيرة الأنا، وصورة الآخر باعتبارها كائنا وفضاءا، ونتائج لهذا التقاطع والتماس.

وقد تحد صرامة التحديد ورسم خانة النسب من الثراء الذي يمكن للرحلة أن تقدمه، ويبقى تجنيسها قائما من منظور البحث في العناصر والمكونات وآليات الكتابة المنتجة للمتخيل، فهي نص لغوي محول قلم بعناصره ورؤاه.

يعود إلى التعامل معه مفتوحا على خطابات متعددة، مما يجعل مفهوم الرحلة وهو علامة على نصوص عرفها الأدب العربي، يظل بدوره ملتبسا وعاما يضيق أحيانا عن لم تشدر النص واتساعه وتسربه إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يدعوا بالضرورة إلى

فهمه في تعدد من خلال تداخل النصوص، ودرجات الوعي به يهدف صيانة مفهوم مفتوح انتشاره المشروع...[1]

1- تعريف الرحلة: لغة واصطلاحا

أ- الرحلة لغة:

لقيت الرحلة منذ القدم اهتماما واسعا من قبل الباحثين، وقد عرف المصطلح في مختلف المعاجم، وحظيت بشرح كبير ومفصل في عدة معاجم نظرا لتداولها عند العرب كثيرا، حيث يعرفها ابن منظور في معجمه لسان العرب "الارتحال: الانتقال وهو الرِّحْلَة والرُحْلَة والرَّحْلَةُ: اسم للارتحال للمسير، يقال: دَنَتْ رحلتنا، ورَحَلَ فلان وارْتَحَلَ، وتَرَحَلَ بمعنى... وفي الحديث في نهاية وَلاَرُحلة، الرُّحلة بالضم، القوة والجودة أيضا، ويروى بالكسرة بمعنى الإرتحال، وحكى اللّحياني: "إنه لَذو رِحْلَة إلى الملوك ورحلةٍ"، وقال بعضهم: الرَّحلة الإرتحال والرّحلة بِالضّمِ، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول: "أنتم رُحلتي أي الذين أَرتحِل إليهم".[2]

وجاء أيضا في مقاييس اللغة لابن فارس "(رَحَلَ) الراء والحاء واللم أصل واحد يدل على مُضيَّ في سفر، يقال: "رَحَل يَرْحَل رِحْلة، وجميل رحيل، دَورُحَلة، إذا كان قويا على الرّحلة، والرَّحلة، والرّحلة: الارتحال"،[3] ومن هذا نستنتج أن على الرحالة يكون قويا ذا همة، ويحمل لمشقة السفر جسديا (الصحة الجيدة) ونفسيا: أي الرغبة في السفر.

---

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 41، 42، 43.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مج11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص333.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، 1979، ص 497.

ب- اصطلاحا:

- **أدب الرحلة:** هو مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق.[1]

ويقول تعريف آخر: "أدب الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم بدون وصف له ويسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير".[2]

ونستطيع القول إن أدب الرحلة هو الذي يصف فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان.

- **أدب الرحلة:** هو مرآة للتجربة الصادقة الحية، فالرحالة يحدثنا عن دحائل نفسه، وتجارب حياته، حديث للنفس الساذجة لا تدوينا للمآثر والمفاخر وهو يرافقنا خطوة خطوة، ويأخذ بيدنا برفق متحد يأكل العقبات والصعاب حتى يصل معها إلى غايات كبرى.[3]

ونجد "شوقي ضيف" يدافع ويرفع التهمة التي ترى أن أدب الرحلة لم يعالج في القصة، لأن الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي مر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما، ولون من ألوان القص.[4]

---

[1] إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيحاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1997، ص25.

[2] انجيل بطرس، الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال، مصر، العدد 7، 1975، ص52.

[3] نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، وزارة الثقافة، ط1، عمان، 2008، ص124.

[4] منصور نعيمة، جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة، مذكرة مقدمة شهادة الماجستير ضمن مشروع الأدب الرحلي المغاربي، كلية الآداب واللغات والفنون جامعة وهران، 2010-2011، ص10.

فأدب الرحلة ليس بحثا في التاريخ ولا وصف جغرافيا، كما إنه ليس قصة قصيرة، أو زاوية أو قصيدة، إنما هو هذا أو ذاك ومن لم يكتسب خصائصه المتميزة وطعمه العذب وقدرته في الوقت نفسه على تلبية مطالب المؤرخين والأدباء الذين يطمحون لمعاينة الواقع.

أما الباحث "ناصر الموافي" فقد عرف هذا الأدب بقوله: "ذلك النثر الذي يصف رحلته أو رحلات واقعية قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال المضمون والشكل بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه" فشرط الواقعية هو أهم ما يميز أدب الرحلة ولا مجال للخيال في هذا الفن حسب رأيه".[1]

ويرى فؤاد قنديل: "أن أبرز ما يميز أدب الرحلات هو تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار والوصف وغيره المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة (...)، وقد أنار أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة فهو إيثار للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه مما يفتقده الكثير من الأدباء في بعض عصورنا الأدبية.[2]

ما يميز الرحلة الأدبية عن غيرها من الرحلات اعتناؤها بالأسلوب الذي يكتب به ثم بالمعلومات التي يتضمنها.

ومن شروط أدب الرحلة دقة الملاحظة وتحري الحقيقة وسهولة الرواية، وحسن التصرف وهي من الصفات التي يجب أن تتوفر في الرحلة.[3]

---

[1] ينظر، سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية والشكل، ص30.

[2] ينظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص23، 24.

[3] ينظر بورقبة أميرة، أدب الرحلة عند محمد الخضر الحسيني، بحث، مقدم لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، 2013/2012، جامعة أدرار، ص26.

ويمكننا القول بأن أدب الرحلة عبارة عن نوع من الحركة ومخالطة الناس والأقوام ووصف للثقافات.

2- مفهوم أدب الرحلة:

تكون أحداث الرحلة المكتوبة واقعية يرويها الرحالة، كما ذكرنا لما مر به من أماكن وعادات وتقاليد طبيعية... ووصف حياة الشعوب من الجوانب الاجتماعية، الدينية... ويمكن تقسيم أدب الرحلة إلى قسمين: الأدب، الرحلة.[1]

- فالأدب كل ما يكتب ويدون ويتناقل شفاهة عبر الأجيال، حيث ينقل الرحالة المشاهد والوقائع التي عاشها ويصفها مع استعمال الأسلوب الفني، ومزجها بروح صاحب الرحلة، وما يحمله من ثقافات وأفكار.

- أما "الرحلة" فمن خلالها يتم ترجمة التنقلات والأفعال إلى تدوينها بشرط أن تكون حقيقية، أو واقعية في أغلب الأحيان، والرحلة أو أدب الرحلة عادة ما تكون ذات علاقة بعلوم أخرى وهذا يمنح "الرحلات قيمتان عظيمتان": قيمة علمية، وأخرى أدبية.[2]

وقد تنوعت طرق تدوين الرحلات عند العرب، فهناك من يدون أثناء رحلته وهذا بنسبة قليلة، وأكثرهم يحفظ ما شاهده في ذاكرته وعند وصوله واستقراره في مكان يرون ما مر به وما رآه وعاشه وقرأه عن سكان المنطقة، وخلفيتها الثقافية والدينية ومواقف تأثر بها.

والرحلة فن أدربي حر، يجد الرحالة فيه راحته في الكتابة، حيث ينوع ويتصرف في مادته، ما يجعل لكل رحلة خصائصها التي تميزها عن باقي الرحلات بأسلوب الرحالة والمنطقة التي زارها.

---

[1] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص09.

[2] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص6.

3- أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث:

عرفت الرحلة العربية خطوة جديدة كانت منعرجا حقيقيا في مسارها عند احتكاك الرحالة العرب الحضارة الغربية، وقد تغير اتجاه الرحلة من المشرق والمغرب إلى أوربا، وقد تفاعل الرحالون العرب مع الحضارة الغربية، وفي مقدمتهم الثنائي "رفاعة الطهطاوي" (1801م-1873)،[1] وخير الدين التونسي (1810م-1890م)،[2] اللذان احتكا بالحياة الأوربية، وإفرازات الثورة الفرنسية واقترحا الأخذ من إيجابياتها مع الإصرار على أن الحضارتين الأوربية والإسلامية العربية مختلفتين، لذلك رفضا ما يتعارض مع الإسلام إلى جانب رحلات "احمد فارس الشدياق" (1887م) إلى مالطة وبريطانيا وفرنسا وجمع أخبارهما في كتابين سماهما "الواسطة في معرفة أحوال مالطة"، وكشف المخبأ عن فنون أوربا.[3]

وتعددت الرحلات في الوطن العربي في القرن العشرين وتنوعت الاتجاهات وأشهرها رحلة "محمد لبيب البتنوني" المعروف برحلته الحجازية، و"الشيخ محمد رشيد رضا" وله رحلتين إلى سوريا، و"محمد الخضر حسين" صاحب رحلات كثيرة في المغرب والمشرق منشورة في مجالات عربية مختلفة.

وقد عرف فن الرحلة كأثر مكتوب في الجزائر نشاطا معتبرا في القرن التاسع عشر، وذلك في إطار المناخ الجديد الذي عرف ظهور المطبعة، فنشطت حركة الطبع والنشر، وهو نشاط عكسته نماذج معتبرة بمادتها ورجالها وقضاياها دوّن "الأمير عبد القادر" رحلته إلى الحجاز والشام وبغداد ضمن مذكراته التي تروي سيرته الذاتية والتي جمعها ونشرها

---

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم الصغير بن عمار، موفم للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1991.

[2] خير الدين التونسي، اقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تح، المنصف الشنوفي، شركة أوريس للطباعة، تونس، ط2، 2002.

[3] أحمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوربا، 1834-1857، صورها وقدم لها قاسم وهب، دار السويدي، أبوظبي، ط1، 2004.

بعض الباحثين فيما بعد "بد القادر بن محي الدين، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون"،[1] وقد جاءت الأخبار عن رحلته موجزة في هذه السيرة الذاتية لأنه كان يركز على حياته النضالية وعلى الرغم من ذلك نستطيع التعرف على مسار رحلته الدقيق ومجمل أعماله، خلال السفر وأشهر العلماء الذين لقيهم إلى جانب بعض انطباعات المؤلف وآرائه حول البلدان التي اجتازها في رحلته وسكانها.

في الرحلة السياسية نماذج تتكامل في بعض الأحيان وتختلف أحيانا أخرى، فمن النماذج المتكاملة رحلتان اتجه صاحبهما إلى باريس، أولها رحلة "سليمان بن الصيام" إلى فرنسا سنة 1852، وتدعى "الرحلة الصيامية" من مليانة إلى الجزائر العاصمة في اتجاه باريس، والرحلة الثانية رحلة محمد السعيد بن علي الشريف إلى فرنسا في نفس الوقت الذي زار فرنسا لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالا بتنصيب "نابليون الثالث.

اهتم "محمد السعيد بن علي الشريف" في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، فحينما قدّر له أن يزور بيئة جديدة عليه، لم يكن مجرد سائح أو مسجل لمشاهد رآها بعينه، وإنما حاول ان يستخلص بعض النتائج وأن يقارن بين الجديد الذي شاهده والقديم في بيئته، وساعدته على ذلك ثقافته الفرنسية التي تكونت له بعد أن ظهر ولاءه للحكام الفرنسيين وخاصة الماريشال "بيجو"، وارتبط بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

[1] محمد الصغير بنائي وآخرون (تحقيق)، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية، شركة دار الامة، الجزائر، (د،ط)، 2004.

أما رحلة "سليمان بن الصيام" في نفس الوفد، فقد كانت غنية بالوصف، حيث وصف فيها الطبيعة والآثار والقصور ومراسيم الاحتفال والقطار والباخرة والمسارح وغيرها من مظاهر الحضارة والعمران".[1]

والرحلتان تتفقان في روح المجاملة للإدارة الفرنسية التي أوفدتهما لحضور المهرجان والتي يعملان في خدمتها، وهما يمثلان نموذجا طيبا عن أدب الرحلات في الأدب الجزائري الحديث، إلى جانب رحلة أخرى جاءت بعد ست وعشرين سنة، وهي "رحلة أحمد بن قاد" في رحلته "الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية"، وهي رحلة للمشاركة في معرض دولي، ركز فيها على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال، كما عبر عن إعجابه الشديد بما شاهده في المعرض من غرائب الصناعات والاختراعات البديعة الرائعة من آلات النسيج والزراعة وآلات التبريد، لكنه يعرض في رحلته هذه للفرق الشاسع بين فرنسا المحتلة وفرنسا المتحضرة وبين الوضع المهمين في بلده والوضع المشرق في فرنسا، لذلك نجد وإن اتفقت هذه الرحلة مع السابقين في الدعاية للاحتلال الفرنسي، والانبهار بالحياة الفرنسية يوجهها السياسي والصناعي والاجتماعي، إلا أنها تعرض في ختام الرحلة حال الجزائر بلده المهان معربا عن ظنه في أن جال الجزائر المنتوري تسبب فيه اليهود والمعمرون الذين يستغلون الأرض والإنسان يصادرون تلك ويضطهدون هذا وذلك ليس من خطط الاحتلال الذي ينجز كل شيء بحساب.

هذه الرحلات بوجه عام تكمن أهميتها في طبيعة الاحتكاك بالغرب، وحتى وإن كانت بمباركة الاحتلال للثناء عليه، فقد حملت ضمنيا إدانة تاريخية له لما لحق الجزائر من قمع وتفقير واضطهاد، وما أصاب لغتها العربية من ضعف وركاكة لحقت الصياغة والركاكة،

[1] سليمان بن الصيام، أحمد ولد قادة، محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، ثلاث رحلات إلى باريس، 1852، 1878، 1902.

لأن لغة هذه الرحلات وصياغتها بدت دون مستوى سابقاتها، فعكست بذلك التدهور الذي شهده النثر الجزائري إبان الاحتلال.

أما في القرن العشرين فقد اختلفت الرحلات عما سبقتها من حيث الهدف والاتجاه، كما اختلفت مضمونا وأسلوبا، لئن كانت الرحلات السابقة قد اتجهن إلى خارج الوطن، فإن الرحلات في هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن، وخاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح لهدف الفكرة الإصلاحية ونشرها بين الجماهير، ودعوتها إلى اليقظة والنهوض، كما اتجه البعض الآخر إلى المشرق العربي أو إلى أوربا والإتحاد السوفياتي والصين، وكان الهدف منها أيضا خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة، وينقل مشاهدات تفيده من قريب أو بعيد من جهة ثانية، كذلك اختلف المحتوى والأسلوب من الأنواع السابقة إلى حد بعيد.

كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل تصور مدى تعلق الشعب بالحركة وبعلمائها، نلمس ذلك في رحلات "ابن باديس" التي سجلها، وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائري، وهو يطلق عليها لفظ "تنقلات".[1]

ويصرح بهدفه من وراء رحلاته وهو تذكير الناس بدينهم، وحثهم على الرجوع إليه، ثم يأخذ في وصف جولاته بذكر أسماء مدن قرى كثيرة، ويتحدث عن المساجد ويدعوا إلى بناء مثلها، كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك إلى جانب رحلته إلى تونس المعنونة "في تونس العزيزة".

إلى جانب رحلات البشير الابراهيمي الكثيرة داخل الوطن وخارجه، وكان أسلوبه في هذه الرحلات يمتاز بالعناية الشديدة بالصياغة والبيان والجمال الأدبي، وقد رحل إلى

[1] للإطلاع على رحلات عبد الحميد بن باديس، ينظر: عمار طالبي، ابن باديس، حياته وآثاره، الشركة الجزائرية، ط1، 1986، ص 297، 324.

المشرف عام 1952م، ضمن نشاطات جمعية العلماء المسلمين مبلغا لطلبات لجمعية لدى الحكومات ومعرفا بالقضية الجزائرية وبنضال شعبه ضد الاحتلال، كما قصد دولة الباكستان عام 1958م، وشملت رحلته هذه الحديث عن باريس وروما ومصر التي مر بها في أثناء هذه الرحلة، يقول الرحالة معرب عن إعجابه بجامعة الأزهر خرجت مرفوع الرأس تيها... مملوء النفس فخرا، مفعم الجوانح إعجابا بهذه الجامعة التي هي مفخرة الشرق وحجته على الغرب،[1] وقد حدد الأهداف المتوخاة من هذه الرحلة بدراسة أحوال المسلمين في مواطنهم والاتصال برجال الدين ودراسة أحوال الحكومات الإسلامية، إضافة إلى التعريف بالجمعية والجزائر.

والرحلة تحوي أخبارا متنوعة جغرافية وتاريخية بأسلوب وصفي دقيق مع روح الدعابة خفيفة ولغة، واضحة وأسلوب تقريري إخباري في غالب الأحيان.

ولعل أهم الرحلات التي تحمل طابعا سياسيا قوميا، ورحلات "أحمد توفيق المدني"،[2] داخل الجزائر وخارجها في أوروبا والعالم الإسلامي والعربي.

ولقد كان إنتاجه أكثر غزارة من "ابن باديس" لأنه تفرغ إلى الكتابة والتأليف، إلى جانب نشاطه السياسي بعد 1956م (بعد اندلاع الثورة).

ابتداءا من سنة 1955م تاريخ أول رحلة خارجية إلى "المغرب"، تعددت رحلات الشيخ "المدني" الخارجية وتنوعت خصوصا في الوطن العربي، فكانت القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس والسودان والصومان.

---

[1] مجمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، 1954/1952، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج4، ص18-23.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ج2.

وقد صورت رحلاته التجاوب العربي العميق رسميا وشعبيا مع الثورة الجزائرية منذ انطلاقها، وبدت معظم الأقطار العربية متجاوبة مع الثورة باختلاف أنظمتها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكن باختلاف واضح أولا في حرارة ذلك التجاوب وفي حجم الداعم المادي، وهناك رحلات أخرى مختلفة كرحلة "محمود بوزورو"،[1] إلى فرنسا سنة 1939م بعنوان "من وحي البرلمان الفرنسي"، إلى رحلة "حمزة بوكوشة"،[2] إلى المغرب الأقصى والطيب المهاجي برحلاته إلى فاس والحجاز والتي ذكرها في كتابه (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، وعموما حاول الكتاب الجزائريون في هذه الفترة كتابة مذكراتهم بوصف رحلاتهم الداخلية والخارجية، وتسجيل مشاهداتهم ولقاءاتهم في قالب أدبي، ولذلك نجد من يسمي هذا الأدب "أدب المذكرات" بدل "أدب الرحلات"، مثل عبد المالك مرتاض، وهناك من يسميه "أدب السياحة"، على اعتبار السياحة رحلة تلقائية حرة إلى مكان مرغوب فيه، بنية التجوال والتمتع والاستطلاع والفضول والاكتشاف.

والأدب السياحي هو ثمرة كل ذلك في شكل جمالي بطبعه الامتاع الوصفي والتنميق الكلامي، والتبليغ الإنطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية، وقد أسهم في ترسيخ هذا النوع من الأدب "الدكتور عبد الله الركيبي" بكتاب سماء، في "مدينة الضباب ومدن أخرى"، ثم أردفه بعنوان فرعي، سياحة أدبية، وقد نشره عام 2003م، بعد ما كتب قبله "الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز" عام 1999م.

[1] محمود بوزورو من وحي البرلمان الفرنسي، مجلة البصائر، سلسلة 2، العدد

[2] حمزة بوكوشة، أربعون يوما في المغرب الأقصى، مجلة البصائر، السلسة 2، العدد 33، 12 أفريل 1948، ص3.

لقد سطر الحديث عن مدينة الضباب "لندن" في هذا الكتاب إلى جانب مدن أخرى زارها في أزمنة متقاربة حينا، ومتباعدة حينا آخر، ولأمكنة مختلفة، عربية وأجنبية كمصر وسوريا وفرنسا والفيلبين والمجر وألمانيا وروسيا.

أما عن فنيات الأدب السياحي عند "الركيبي" فإننا نلاحظ أن أدبيته تنفر أحيانا من المواقف التي يطغى عليها السرد التاريخي والإخبار السياسي، وفي موقف أخرى تسمو ويطيب جمالها خاصة في المواقف التي تتخللها مشاهد وصفية ممتعة، منسوجة من وحي المكان.

والكتاب على العموم زاخر بكثير من الأساليب الفنية التي استمدها الكاتب من تمرسه المبكر بالفن القصصي، وفي الكتاب كذلك نفحات من روح التسامح الحضاري، إذ تتداعى الأمكنة والتجارب في العين والذاكرة ويمكن اعتبار هذا النص السياحي عن "الركيبي" واحة فنية تعكس تجربة مكانية خارج البلاد.

ولا يفوتنا ذكر رحلة مهمة قام بها الأديب "أحمد رضا حوحو" إلى الإتحاد السوفياتي سنة 1950م، وقد سجل فيها ما شهده من تطور حضاري، وصناعي وتقدم ثقافي في روسيا، وحاول أن ينقل صورة صادقة للبيئة الجديدة التي ذهب إليها وتعد قيمة هذه الرحلة في موضوعها، ما قدمه من معلومات وأشياء جديدة، أما من الناحية الفنية فقد ابتعد الكاتب من الأسلوب الفني مغلبا عليه الأسلوب الصحفي إلى جانب رحلة "عثمان سعدي" المعنونة "وطني" والمنشورة في جريدة البصائر عام 1953م، و"رحلة محمد علي دبوز" من الجزائر إلى القاهرة إلى طانطا (الريف المصري) والتي عنونها "وقفة في دار الرافعي وعلى قبره"، حيث تحدث عن مصطفى صادق الرافعي بعد الرحلة إلى مسقط رأسه (طنطا) واكتشاف الأماكن والمعالم التي كان يرتادها.

وقد نشرت الرحلة في البصائر سنة 1955م، ورحلة "أبو القاسم سعد الله" إلى السعودية،[1] وهي من الرحلات العلمية إذا كانت تهدف حضور الندوة العالمية الأولى المخصصة لمصادر الجزيرة العربية وقد عنونها "رحلتي إلى الجزيرة العربية" وطبعها في كتابه الموسوم "تجارة في الأدب والرحلة".

إن تطور فن الرحلة في الجزائر في العصر الحديث واهتمت إلى جانب الجغرافي والتاريخي بنقل الانطباعات والمشاعر والتصورات، كما نقلت قضايا إيديولوجية وثقافية وحضارية من وجهات نظر الكتاب وتعددت الأغراض أيضا من دينية إلى تعليمية إلى تجوال وسياحة، وقد استجدت دواعي أخرى لذلك كحضور الملتقيات والمهرجانات والتظاهرات الثقافية وأداء مهام سياسية أو دبلوماسية، وقد اختلفت طرق تدوين هذه الرحلات فمنها ما استقل بكتب كاملة ومنها ما أخذ حيزا في كتب أخرى ككتب السير أو المذكرات ومنها ما ظل حبيس الجرائد والمجلات.

4- خصائص الرحلة عند الشيخ الخضر حسين:

فيما يخص الخصائص الرحلة فنجملها في الآتي:

1- إن رحلات الورثيلاني متنوعة شاملة لكل جوانب الحياة، إلا أن السمة الغالبة عليها هي السمة الثقافية العلمية الدينية، ولا غرابة في هذا على اعتبار أننا أمام عالم فقيه أديب، ترك لنا بصماته في الساحة الثقافية الفكرية الجزائرية والعربية عموما، فرحلته إلى الجزائر كانت رحلة علمية عرض فيها مشاهداته وأخبار الجزائر.

2- إن بداية رحلات الورثيلاني تتشابه في الرحلة الجزائرية، بذكر المكان والزمن المقدر بالساعات واليوم كذلك مضيفا وسيلة النقل المتخذة في الرحلة.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنسة للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983.

3- خاتمة رحلاته تختلف من رحلة إلى أخرى فتارة تكون بجوانب عن مسائل فقهية، وتارة بوصف لمشاهد الدرس، وتارة أخرى يختمها ببيت من الشعر.

4- رحلاته ذاتية قام بها بنفسه، كشفت لنا انطباعاته وخواطره وميولاته الفكرية.

5- رحلاته واقعية مستمدة من يومياته في هذه المناطق، استطاعت نقل الواقع المعايش بصورة حقيقية وأمانة علمية صادقة بعيدة عن الخيال والرومانسية.

6- كان تدوينه لرحلاته تلبية لقناعة ذاتية، وليس استجابة لطلب جهة من الجهات.

7- تمتاز رحلاته بدقة الملاحظة الوصفية الشاملة لخص فيها المواضيع الثقافية، والدينية، والفكرية والاجتماعية دون المساس بالمواضيع السياسية أو الاقتصادية، ويظهر ذلك في وصف حركة ونشاط المساجد، وازدهار حلقات الدرس وتوافد الطلاب.

8- اعتماده على الموازنة والمقارنة لمظاهر الحياة والسلوك البشري ونقده لها، محاولا إبراز السمات التي تميز المجتمع الجزائري عن غيره كبحثه في العادات الخاصة بالجزائريين.

9- ارتكزت رحلاته على تتبع المراكز الثقافية كالمساجد والمكتبات والمدارس القرآنية لتقديم تقرير حول حالتها العلمية والثقافية.

10- تمتاز رحلاته بنظرة تحليلية سيكولوجية نفسية للمجتمعات تظهر من خلال وصفه لمشاعر إزاء مقابلة العلماء وطلبة العلم وكيفية إقبالهم على الدروس وحلقاتها، وكذا تحليله لطباع أهل الجزائر وأخلاقهم.

وخلاصة القول أن هذه الخصائص تدل على شخصية الشيخ ذات الخبرة الواسعة وعدم التحيز في البحث، وتحليه بالأمانة والصدق والنزاهة في الوصف، وإعمال التأمل والتفكير والنقد والتدقيق من أجل الوصول إلى الكشف عن جميع جوانب رحلته الجزائرية.

الفصل الأول: المضامين الدينية في رحلة الحسين الورثيلاني

1- التعريف بالرحلة الورثيلانية وصاحبها
2- وصف العلوم الدينية في الرحلة (اللغة، الفقه، التفسير)
3- وصف الأولياء الصالحين.
4- وصف الآثار المقدمة (المدينة، مكة)

المبحث الأول: التعريف بالورثيلاني ورحلاته

أ- الرحلة الورثيلانية: رحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تعرف بالرحلة الورثيلانية نسبة إلى الشيخ الحسين الورثيلاني، وهي رحلة عرفت باسم صاحبها، وهذا أمر مألوف في الرحلة عموما والمغربية خصوصا، فقد كان يغلب على اسم الرحلة، اسم صاحبها فتشتهر به، وهي من أهم الرحلات التي اشتهرت في المغرب العربي وخاصة في الجزائر وتضم الرحلة الورثيلانية معلومات قيمة، حيث قال عنها الحسين الورثيلاني هي "رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام العربية والحكايات الممتحنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من تصوف،[1] وفي هذه الرحلة يصف لنا الورثيلاني الطريق الذي كان يسلكه الحجاج إلى مكة، ويحدثنا عن معالم الحج وتأدية مناسكه، حيث انطلق في رحلته من بجاية بالجزائر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وكان مسارها كالأتي:

الجزائر ← تونس ← ليبيا ← مصر ← مكة المكرمة.

زار مدن كثيرة في رحلاته منها بجاية وهي منطقة انطلاق الرحلة والمرور بالزاب، دلس، سيدي خالد، المدية، بونة (عنابة)، قسنطينة، قابس، منستير، تبرسق، القيروان، طرابلس، ابن غازي، القاهرة وغيرها وصولا إلى مكة.

وقد كان الرحالة يقدم تقريرا عن كل مدينة يمر بها ويقدم معلومات غنية تشمل "ذكر المدن والقرى وبيان أوصافها وذكر الفلوات والصحاري والأنهار والعيون وحسن بناء المدن

[1] سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحل الورثيلانية الموسومة "بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2008، ص12 - 13.

والأسوار والحوانيت والأسواق والأزقة والمساجد وإتقانها والصوامع وأوصاف ما ذكر وملاقاة الرفاق والرجال من عامة المؤمنين وبيع الحوائج وشرائها".[1]

وعادة ما تكون رحلة إلى المدن الأخرى إما لزيارة قبور الأولياء الصالحين أو الإصلاح بين الناس والقبائل، والرحلة هي إحدى الوثائق الهامة التي يوثق فيها الكاتب سيرته الذاتية وكل من تعرف عليه من الشيوخ والعلماء، وعلوم الفقه والتاريخ والأدب.

دعا الرحالة في رحلته هذه إلى الصلح والتسامح بين الناس، الابتعاد عن الفتن وشهادة الزور والظلم وعدم انتهاك حقوق الإنسان دعا أيضا إلى التقرب من الله والابتعاد عن المعاصي وكل ما يغضب الله ورسوله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولاحظنا هذا في مواقف كثيرة كتب عنها منها "فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين".[2]

ويوضح الرحالة هنا أن معظم رحلاته وسفراته كانت من أجل الإصلاح بين الناس ونشر التسامح بينهم، وكذا الدعوة إلى الله تعالى والنهي عن المحرمات كما هو الشأن بالنسبة للاختلاط بالنساء، حيث ينهي الرحالة الرجال الذين يختلطون بالنساء الأجانب سواء كان من أجل العلم أو غير ذلك حتى لو كن صالحات قانتات فحرام الاختلاط بالنساء وقد استشهد في ذلك بحديث الرسول ﷺ" ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما" وقال أيضا باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال".[3]

[1] الرحلة الورثيلانية، ص 179.

[2] الرحلة ص 18.

[3] ينظر الرحلة الورثيلانية ص 624.

- **التعريف بالورثيلاني:**

هو الشيخ الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني ولد سنة (1125هـ، 1193م) بقرية بني ورثيلان قرب مدينة سطيف بالمغرب الأوسط (الجزائر)، ينحدر من عائلة شريفة ذات علم كبير تشتهر بالتقوى والصلاح، تلقى تعليمة بمسقط رأسه ببني ورثيلان على يد والده وشيوخ بلده، درس الفقه والحديث والنحو والتصوف والعروض حتى بعدما استنفذ ما عند شيوخ القرية من العلوم والمعارف شد الرحال إلى داخل الجزائر وخارجها، لطلب العلم.[1]

أما فيما يخص شيوخه الذين تعلم الورثيلاني عنهم وذكر أسماءهم مع تراجم مطولة وموجزة فقد أخذ عن الكثير من الشيوخ في وطنه الجزائر وتونس ومصر والحجاز، وكان أبرزهم والده محمد السعيد والنفراوي،[2] ومحمود الكردي،[3] وغيرهم من أكابر العلماء في ذلك الوقت ثم رجع من المشرق بعد أن امتلأ علما وتخرج على يده الكثير من الطلبة الذين لازموه أمثال أبو القاسم سعد الله ويحي بن حمزة وغيرهم، والذين تولوا مناصب مرموقة كالقضاء والإفتاء تعتبر رحلة الورثيلاني موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن العاشر للهجرة، اشتملت رحلته على معلومات في غاية الأهمية تتصل بالحياة اليومية والحالة المعيشية وأسلوب الحكم ومستوى الثقافة وطبيعة العادات ونوعية اهتمامات العامة في البلدان، وكان يتردد على بلدان كثيرة منها بسكرة، عنابة وقسنطينة وتلمسان

[1] سميرة أنساعد: الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الهجريين(ق17-19م) ، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، ط1 ، الجزائر، 2011، ص40.

[2] النفراوي، هو سالم بن محمد النفراوي، فقيه مالكي مصري تعلم بالأزهر وتفرق في فروع المذهب وأجيز له بالإفتاء توفي عام 1168 هـ/ 1754م (ينظر: خير الدين الزركلي الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري ج6، ص7.

[3] محمود الكردي: هو محمود بن زيد الكوراني الكردي الخلوتي متصوف سكن بالقاهرة وذاع صيته توفي فيها سنة 1195 هـ/1781م، ينظر أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفي، دار قباء، القاهرة، 2000، ص110.

وغيرها من المدن الجزائرية، إما لغرض زيارة القبور للأولياء الصالحين، وإما للنظر في شؤون الناس كالصلح، بالإضافة إلى زيارته إلى تونس ومصر والحجاز لطلب العلم وأداء فريضة الحج.[1]

كان الورثيلاني يعتمد على المصادر في رحلته حتى إنه كان ينقل منها نقلا حرفيا طويلا تارة منسوب إلى صاحبه وتارة غير منسوب، كان يعتمد على رحلة العياشي، ورحلة الدرعي، وابن فرحون وغيرهم.[2]

وهكذا يتضح لنا أن رحلة الورثيلاني موسوعة أخبار كبيرة في القرن 18 فهي من المصادر التي لا غنى عنها في هذا المجال، وكان تكرار حج الورثيلاني وإتقانه العربية ومعرفته بعادات الشرق والغرب جعلت منه حكما على العصر وأهله في الكثير من المناسبات.[3]

- من مؤلفاته:

1- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، وتعرف بالرحلة الورثيلانية وهو وصف لرحلته إلى الديار المقدسة سنة 1779هـ.[4]

2- شرح القديسة للخضري في التصوف.

3- حاشية على كتاب المرادي.

4- شرح على الخطبة الصغرى.

---

[1] سميرة أنساعد: المرجع السابق ص40.

[2] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء تاريخ الجزائر،ج1، المرجع السابق، ص 188-189.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1998، ص398.

[4] انظر (الملحق رقم 8)، ص108.

5- حاشية على كتاب السنوسي.

6- قصيدة هيمة في نحو 500 بيت في المدى النسبي.

7- شرح على وظيفة الشيخ يحي بلي.

8- كراسة في شرح وقفت بساحل وقفت الأنبياء دوحة.

2- وصف العلوم الدينية في الرحلة:

- **اللغة:** نذكر منها المسائل المتعلقة بالمفاهيم المعجمية

- لفظ منطاد وعرفه الشيخ "الآلة التي تطير في الهواء المسماة بالبالون"[1] .

ويذكر "الفيروز أبادي أن "الإنطياد هو الذهاب في الهواء صعدا، وبناءٌ مُنطادٌ، مرتفع".[2]

- لفظ مجلة حيث وضح معناه اللغوي، مستندا في ذلك على القاموس فقال"والمجلة بالفتح: الصحيفة"فيها الحكمة، وكل كتاب".[3]

- الفرق بين لفظ العرب، والأعراب،[2] واستند إلى قول الشيخ المطرزي في المصباح ونعرض ما قاله الشيخ المطرزي لكن من خلال كتابه المغرب في مادة (ع ر ب) فقال "العربي واحد العرب وهم الذين استوطنوا المدن والقرى العربية، (والأعرابُ) أهل البَدْوِ واِخْتَلَفَ في نِسبَتِهِمْ".[4]

---

[1] محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية، ص28.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، ج1، سنة 1426هـ، 2005م، ص296.

[3] الفيروز آبادي: القاموس، ص 979.

[4] برهان الدين الخوارزمي المطرزي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، المغرب، ص 308.

وهذا ما حدث به الشيخ مصطفى في درسه، وأضاف قول الأزهري"فمن نزل البادية أو جاور البادين وَظَعَنَ بِظَغْنِهِمْ وإنتوى بإنتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف وإستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فُصحاء".[1]

وبناءا على قول الشيخ المطرزي والأزهري "أن العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى العربية، بينما الأعراب أهل البادية.

- الفقه:

المسائل الفقهية عند الشيخ حسين الورثيلاني، بحيث كانت له معرفة بالعلوم القرآنية وتشبعه بالثقافة العربية الإسلامية، الأثر الكبير على كتاباته الشخصية، والتي برزت كذلك في رحلاته المتعددة، وهذا ما نجده من خلال طرحه للعديد من المسائل الدينية والدنيوية.

- أما بالنسبة للمسائل الفقهية:

1- هل كان النبي ﷺ يحلق رأسه أم لا وما حكم عدم الحلق؟

وكان الجواب أن"الرسول ﷺ"لم يحلق، لغير نُسك، فيحتمل أن يكون ترك الحلق من باب ترك الأخذ بالعرف...، ويُحتمل أن يكون على وجه التشريع فيكون سنة، وكان علي ابن أبي طالب"رضي الله عنه يحلق رأسه، قال"ابن عبد البر" وقد أجمع العلماء على جس الشعر وعلى إباحة الحلق".[2]

ومن ذلك كله فقد أورد الشيخ أنه لا تثريب على من ترك حلق رأسه يقصد التأسي بالنبي الكريم، والصحابة، والسلف الصالح.

---

[1] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، ج2، ط1، بدار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 2001، ص218.

[2] الامام القرطبي من تفسيره، جامع الأحكام الفقهية، جمع و تصنيف، فريد عبد العزيز الجندي ط1 ج1، دار الكتب العلمية، بيروت سنة 1414هـ، 1994م، ص38.

2- ما تقولون في رجل اِقترض، إلا من عند آخر، واِشترى به أشياء يجب فيها الزكاة فيما اِشتراه بمال القرض إن مر عليه الحول أولا يجب لأنه مدين؟

- **فكان الجواب:** كما ذكر الإمام مالك في موطنه، عن زَيْدَ بْن أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أن الرسول ﷺ قال: "لاَ يَحِلُ الصَدَقَةِ لِغِنَى إلاَ لِخَمْسَةٍ" لغاز في سبيل الله، أو العامل عليها، أو لِغارم، أو لِرَجُلٍ اِشْتَرَاهَا بماله أو لرجل له جار مسكين، فتصدق على مسكين، فأهدى المسكين للغني".[1]

أي أن المدين لا يجب عليه الزكاة إذا كان لا يستطيع تسديد دينه، أما إذ كان مالكا لما يجعله يدفع الدين فلا تسقط الزكاة عنه.

- **التفسير:**

- ورد هنا ذكر حديث "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمامٌ عادِلٌ... ورَجُلانِ تَحَابَّا في الله عز وجل..."، وهنا أملى الشيخ بعض ما عهده في شرحه .

- "الدين النصيحة قالوا: لمن؟ قال لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم..."، وكان الحديث حديث الشيخ في جامع الشريف في ليلة من الليالي.

وكذلك التفسير يعني بالجانب التفسيري للآيات القرآنية، والجمع بين الآيات الكريمة المتباينة المعنى.

- "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً"،[2] وهي موضوع مسامرة علق عليها الشيخ ما حضره في فضل العلم والتعليم، "فالجهاد وإن كان عظيم الأهمية، والتخلف عنه ذنب وعار، إلا أنه في غير الحالات الضرورية لا لزوم لتوجه المؤمنين كافة إلى ساحات الجهاد، خاصة في

[1] مالك إبن أنس، الموطأ، تحقيق، محمد مصطفى الأعظمي، ط1،ج1 مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي سنة 1425 هـ/2004م، ص378.

[2] التوبة، 122.

الموارد التي ينبغي فيها النبي ﷺ في المدينة، بل يبقى منهم جماعة لتعلم أحكام الدين ويتوجه الباقون إلى الجهاد.[1]

– "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ"،[2] يقول الخازن "فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من محمد ﷺ، وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب، وهو أن ينقل من كتاب إلى كتاب آخر كذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثله في كتاب آخر، فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا، وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ، ونزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ويكون النسخ بمعنى الرفع والإزالة وهو إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل، والشيب الشباب فعل هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا، وهو المراد من حكم هذه الآية وهو إزالة الحكم بحكم يعقبه،[3] حيث سمع شيخنا قراءة الآية من الشيخ "حمدان بن الونسي" بهذا التفسير.

– تفسير قوله تعالى "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن"،[4] حيث استدل الشيخ فيه بقول "ابن إسحاق"، "فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان".[5]

– الجمع في قوله تعالى" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة".[6]

---

[1] ناصر مكارم الشيازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج6، ط2، دار الحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1426هـ، 2005م، ص184.

[2] البقرة: 106.

[3] علاء الدين علي أبو الحسن المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ، ص68.

[4] البقرة، 185.

[5] محمد بن إسحاق يسار المصلبي بالولاء، تحقيق: سهيل زكار، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ط1، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/1978م، ص130.

[6] الأنفال، 25.

– وبين قوله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى".[1]

فالأولى "واتقوا فتنة "إن أصابتكم" لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" بل تعمهم وغيرهم واتقاؤهم بإنكار موجبها من المنكر،[2] أما الثانية" لا تحمل نفس أثمة وزر نفس أخرى".[3]

– لاحظ الشيخ، أن الشيخ "علي الدين بن الحاج موسى"، خالف الرواية المشهورة وهي عدم تأمين الإمام في الجهد، إذ يقول: "سمعته يجهر بالتأمين بعد الفاتحة في الصلاة" أن قوله آمين بصوت مجهور، وذلك لأن الشيخ يختار رواية المدنيين.

3- وصف الأولياء الصالحين:

تميزت الرحلة الورثيلانية في كثرة الأولياء والشيوخ والفقهاء والعلماء والتعريف بهم وأماكنهم التي يقيمون بها وكذلك ما أخذ عنهم من علم ونصائح، الأولياء الصالحين هم أصل الصلاح وحفظت كتاب الله تعالى والإيمان بهم وبالرسول ﷺ وما أنزل عليهم والعمل بما جاء في سنته وميزهم المولى عز وجل عن باقي البشر بالعلم والفقه جاء في سورة الأنفال "وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".[4]

وكان هؤلاء الأولياء الصالحون يحضون بمنزلة عالية ومرموقة بين سائر المجتمع الذي يعيشون فيه، وبعد مماتهم تصبح قبورهم أماكن يقصدها الناس من كل حدب وحتى من خارج المدينة فعليهم زيارة الأولياء الصالحين لنيل البركة منها، وقد أشار إليهم الرحالة عدة مرات وتبرك بهم، ومما يدل على ذلك أنه كما ذكرت أسمائهم يعقب المؤلف عليهم بعبارات

[1] الأنعام، 164، الإسراء 15، فاطر 18، الزمر 7، النجم 38.

[2] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، ج1، دار الحديث، القاهرة، ص231.

[3] نفسه، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، ص192.

[4] سورة الأنفال، الآية: 34.

خاصة من ذلك قوله "نفعنا الله به آمين"...، "أفاض علينا من بركاتهم" "بمنه وكرمه آمين"، "نفعنا الله به وبأمثاله جميعنا" "رزقنا الله بركته آمين...." إلخ.

ويقول الورثيلاني متحدثا عن أحد هؤلاء الأولياء وهو سيدي أحمد بن مزيان.[1]

"ثم نزلنا قرية الشيخ الفاضل ذي التصنيف الجيد الولي الكبير والعالم الشهير صاحب وقته المحب للنبي ﷺ وخليله سيدي أحمد بن مزيان وهي "ورجة" قرية عظيمة طيبة فيها بساتين وعين جارية وسط داره وله خلوة معلومة له اليد العليا في العلوم كلها المنقولة والمعقولة وقد خمس البرد".[2]

ومن الأولياء المذكورين نجد سيدي أحمد بن سعيد وهو "ولي معظم عند نبي عفيف ضريحه مشهور يزار وأولاده أفاضل على الخير والطاعة"،[3] ثم يحدثنا عن زيارة قبر الشيخ إبراهيم اللقاني،[4] "الذي دفن في مقبرة هنالك محوط عليه بالأحجار على يسار الذاهب إلى منزل الركب".[5]

وبعد ذلك يحدثنا الورثيلاني عن "سيدي ناصر الخلقي" ويذكر أنه "كان فقيها مفتيا حافظ للأنقال وهو من قرننا هذا، ومن الحادي عشر معاصر لجيد والد والدي وأولاده على الفضل والحلم،[6] ونجد أيضا زيارة الورثيلاني للشيخ عبد السلام الأسمر،[7] قال "زرنا القطب

[1] أبوعبد البر محمد عبد القادر بن رمضان مزيان وأطلق عليه الورجيني نفسه بنسبة لقرية ورجة.

[2] الرحلة، ص29.

[3] الرحلة، ص95.

[4] الشيخ برهان الدين إبراهيم ابو الإمداد اللقاني، أحد أعلام المشار إليهم سبعة، الإطلاع في علم الحديث والدراية وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة.

[5] الرحلة، ص399.

[6] الرحلة، ص95.

[7] عبد السلام الأسمر بن سيلم الفيتوري الإدريسيي الحسني، يعد من أهم العلماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري فهو من فقهاء المالكية، وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة.

الصالح والغوث الواضح الشيخ عبد السلام الأسمر فإنه مجاب الدعوة وقبره روضة وحريمه لا يتعدى عليه أحد فمن وصل إليه سلم ونجا أفاض الله علينا من نفحاته وقد رغبنا عنده فدعونا الله لنا ولأقاربنا والمسلمين والمسلمات".[1] ثم ذكر بركة الشيخ وكيف أن من زار ضريحه يستجاب له الدعاء ولايصيبه أذى ولا يتعدى عليه وعلى حريمه أحد.

إن الحديث عن الورثيلاني في الرحلة الجزائرية قديما وحديثا هو الحديث عن سيد الرحالين الجزائريين وأميرهم، فقد اشتهر الورثيلاني بالرحلة أكثر مما اشتهر بغيرها بالرغم من كونه عالما فقيها ومتصوفا كبيرا، ولعل رحلته من أهم الرحلات التي أرادها صاحبها حجازية وعلمية فجمعت بين أدب الرحلة والكتابة الجغرافية وتدوين التاريخ والمتأمل في عنوانها يدرك جملة مضامين احتوتها الرحلة، وهو "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ومن ثم كانت رحلته نصا تاريخيا مختلفا عن كتب التاريخ العام أو الخاص فهي تتحدث عن تاريخ حي معيش دون فيه صاحبه حياة الناس وبيئتهم ومعيشتهم.

والمميز في كل الرحلة هو شمولها على ثقافة عصره من علم بالتاريخ وخصوصية في الأدب، وملامح البيئة والصراعات الإجتماعية السائدة وغيرها من الأمور التي ربما يتغافل عنها التاريخ، ومن جهة تؤسس لرؤية أدبية من حيث الصيغة النثرية وصياغة أسلوب وبني أفكار لذلك العصر، وقد اهتم الورثيلاني من شروعه في الرحلة تدوين ملاحظاته الشخصية كما قام بتسجيل كل ما رآه في بيئته القريبة والبعيدة من الجزائر، واعتمد على الرواية الشفوية لأكثر شيوخ وعلماء الزاويا في مختلف مناطق البلاد، وكان كلما توقفت قافلته لنيل الراحة أخذ أوراق يسجل فيها ملاحظاته ومادته حتى لا تضيع من ذاكرته، ولعله جمع الكثير من الأخبار عن الأعيان والعلماء في كل بلاد زارها باتجاه الشرق في تونس وليبيا ومصر وغيرها من البلدان كما تعد الرحلة بتميزها من حيث الصورة التي خلدها لمجتمعه الذي كان

[1] الرحلة، ص716.

يدنو تحت خط الانكسار الثقافي وبذلك يكون تسجيله مهما لذلك الوضع القائم، فقد انتقد ذلك الوضع وأعاب عليه كثيرا.[1]

قام الورثيلاني قبل السفر أو قبل الرحلة الرسمية برحلة تبرك وزيارة لبعض العلماء والأولياء الصلحاء من مناطق عدة من ذلك منطقة الزيبان، مدينة بجاية أين التقى بعلمائها الأولياء ومن بجاية عاد إلى أهله استعدادا للحج، ثم يتحدث عن مزايا الحج ومساره الذي لا يخلوا من الطرائف والشوق إلى بيت الله الحرام وزيارة بيت النبي المختار، إضافة إلى حديثه عن كل بلد ينزل فيه، ومن ذلك حديثه عن مصر التي خصها بشئ من الحبور والإطناب الساحر مما يدل على أنه تأثر بمصر كثيرا.

4- وصف الآثار المقدمة:

أعطى الرحالة للآثار المادية (العمران) مثل: المباني، المساجد والطرق وغيرها، من بين المساجد نجد:

- مسجد الزاب بسكرة:

عرف أهل الزاب بالجود والفضل وأحسن الله إليهم، هذا ما تركهم يقومون بإنشاء وبناء مساجد لعبادة الله والتقرب إليه عز وجل، ولحفظ القرآن، وقد زار الرحالة بعض المساجد في بسكرة والمتواجدة في طولقة، وهو إبداع وإتقان من حيث الإنشاء "إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه"،[2] ويعود هذا إلى الأتراك الذين حازوا على المواقع والأماكن المهمة التي يقتات ويستوطن منها أهل المنطقة من أودية ومنابع ومزارع ونخيل مما جعل الأقوام يهجرون المناطق ويبقى المسجد وحيدا وقد قال في المسجد صاحب الرحلة "زرنا مسجدا وطلعنا إلى

[1] أطروحة دكتوراه، للطالب عيسى بخيتي (أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق).

[2] الرحلة الروثيلانية، ص117.

مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء".[1]

- مسجد السلطان حسن بمصر:

هو مسجد رائع ومميز في مصر، فخم ومتقن من حيث البناء به أعمدة رخامية هائلة وأبوابه كبيرة وذو ارتفاع شاهق وفي أحد أبوابه سارية رخامية ذو نقوش وزخارف عجيبة، ويعتبر هذا المسجد من أعرق المساجد في المنطقة وكما أنه قد عرف أهل المنطقة بالبناء الفاخر في تلك المناطق.[2]

- مسجد قباء بالمدينة:

بني بالمدينة المنورة وله مكانة بين المسلمين، أطلق عليه مسجد قباء أم المؤمنين، ويصف الرحالة دخوله لهذا المسجد يقول "دخلنا الحديقة التي فيها بئر أريس وشربنا من مائها وتوضأنا منه ومنها مسجد الجمعة، وهو في طريق قبا نحو ميل أو أقل من مسجد قبا على يمين الذاهب من المدينة على الطريق، التي تمر بين النخل"،[3] وهي من بين المساجد التي فضلها الصحابة للصلاة بها.

- المسجد الأعظم بالطائف:

أطلق عليه هذا الاسم لمكانته حيث كان محل نزول جيوش الرسول ﷺ لما حاصروا ثقيف بعد غزوة حنين، وداخل المسجد يوجد مسجد آخر صغير جاء في السيرة أنه دار النبي ﷺ و أيضا محل أو متجر يقال محل قبة أم المؤمنين أم سلمة.[4]

---

[1] الرحلة الورثيلانية، ص117.

[2] ينظر الرحلة، ص138.

[3] الرحلة، ص543.

[4] ينظر الرحلة، ص515.

- مسجد العشيرة بالمدينة المنورة:

يوصف بأنه أحد المساجد التي صلى فيها الرسول ﷺ يقول "دخلنا هذا المسجد وقلنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل وفيها ينابيع ملتفة ناعمة ووجدنا بها العام يبس ماء الصين وانهدم بعض سقف المسجد وذبلت النخل وفي الينابيع مزارة على تل مرتفع".[1]

- واد بطحان بالمدينة:

يعتبر واد من الأودية التي لفتت انتباه الرحالة من حيث ما يخبأه من مواصفات بوادي بطحان وهو الواد المتوسط بيوت المدينة ودور الأنصار غالبها على حافتيه شرقا وغربا... يصل إلى واد جاف شرقي مسجد قبا وأوله من الماجشونية ثم يمر كذلك إلى أن يمر غربي سور المدينة إلى طرف المصلى ثم يخرج إلى غربي سلع وقرب مساجد الفتح ثم يمر كذلك إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجتمع الأسيال... بطحان على ترعة من ترع الجنة ويخرج الناس للتفرج فيه وعلى حافتيه منازل كثيرة لأهل المدينة قد جعلت لها شبابيك ومجالس إلى ناحية الوادي وعليه فنظرة كبيرة قرب المصلى وقلما يخلو أعلاه من ماء سيل به نجلا يقوى إذا كثرت الأمطار ويقل إذا قلت.[2]

وهو واد من أجمل الأودية التي وصفها الرحالة وأعجب بها وطبيعته الخلابة، فخاذوا في وصفه وأبهروا بجماله.

- وادي الرهبان بمصر:

[1] الرحلة الوثيلانية، ص412.

[2] الرحلة، ص607، 608.

وسمي بهذا الاسم "لأنه يوجد به ما يسمونهم برهبان النصارى يتعبدون فيه كل طائفة في دير ولا يدخل إليهم أحد من غير جنسهم".[1]

وهو واد عظيم توجد فيه قصور للعباد يقصدونها للعبادة أي الأصنام وينفرون عن الوسط الخارجي، خاصة من المصريين لكثرة طوافهم من النصارى المقيمين فيها.[2]

- بئر تورغرت:

يوجد به ماء عذب قام بحفره عبد السلام بن عثمان بمنطقة تورغرت ونظمه وقام بغرس شجرة توت بجانبه، عندما يمر إنسان بهذه المنطقة يجب أن يجلس بهذه الشجرة لتقيه من الحرارة ويظلل بها ويشرب الماء البارد ويفعل ما يحلو له ويحتاجه.[3]

- المح بمكة:

قام الرحالة بوصف زيارتهم للمح، حيث يوجد به مسجد النبي ﷺ، وطريق يحد بينه وبين منطقة خليص ثلاث أميال ذات أحجار كثيرة وأوعار صعبة، إلى أن وصل خليص وجه عين محكمة البناء ساقيتها متينة، وبها بركة عميقة إن أردت السباحة فيها فلا تقدر ومنها تجري ساقية إلى أرض الحراثة وبها مزارع وبساتين.[4]

[1] الرحلة الورثيلانية، ص293.

[2] الرحلة الورثيلانية، ص292.

[3] ينظر الرحلة، ص278.

[4] ينظر الرحلة، ص446.

- منارة الإسكندرية بمصر:

ومن أشهر المباني المتواجدة بمصر ومن العجائب على سطح الأرض وصفها الورثيلاني وصفا يليق بوصفها، ومنارة الإسكندرية مبنية بحجارة مطلية بالرصاص كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع وفي أعلاها تماثيل من النحاس منها "تمثال يشير للشمس ويدور مع دورانها وتمثال آخر مقابل البحر متى ما قدم العدو يصدر صوتا يسمع على نحو من ليلة يعلم أهل البلدة بقدومهم للاستعداد لمواجهتهم، أما في الأعلى مرآة ترى القسطنطينية وكلما حضر جيش لإقامة الحرب شاهدوهم من خلالها، وفيها ما يقارب ثلاثمائة بيت تصعد الراية بما تحمله إلى جميع مباني هذه المنارة، ومن غريب هذه المنارة: التي قال فيها بأن "ذو القرنين" هو الذي بناها وهي مميزة عن باقي البناء، مصنوعة من حجارة كبيرة منحوتة وفيها ثلاثة منارات، فالأولى صنعت على شكل مربع وفوقها منارة أخرى مثمنة مبنية بالآجر وعلى رأسها منارة مدورة عليها من الحديد الصيني.[1]

[1] ينظر الرحلة، ص651، 652.

الفصل الثاني: البعد الديني في المكونات السردية في الرواية

1- البعد الديني
2- البعد الديني في الشخصيات (الرئيسية – الثانوية)
3- البعد الديني في المكان
4- البعد الديني في الزمان
5- تداخل الأجناس الأدبية.

1- البعد الديني في المكونات السردية في الرواية

*** الباعث الديني:**

لقد كان الحج منذ العصور أهم البواعث التي دفعت بالإسلام والمسلمين إلى الحركة والتنقل، فارتحلوا في كل أرجاء المعمورة، كما أمرنا ربنا جلا في علاه باتجاه البقاع المقدسة إلى الحجاز، فالحج رحلة ولا تزول إلا بزوال الدنيا وهو قائم إلى حد الساعة، فهي مبتغى كل مسلم أراد أداء فريضة الحج، وهذا فضلا عن علماء هذه الأمة والفقهاء.

ومن خلال هذا كله "تتقدم الرحلة الحجازية إلى البقاع المقدسة المراتب الأولى بين الرحل لأن هذه الأماكن فيها راحة وسكينة لزوار البيت من كل أصقاع العالم".[1] بصفة عامة والمغاربة بصفة خاصة وهذا لما عرفوا المغاربة في رغبتهم في الأخذ من الشيوخ وزوار الأماكن المقدسة ورحلاتهم من أجل حب البحث والإطلاع.

ومن هنا يتضح جليا أن الحج وزيارة الأماكن المقدسة يعد الباعث الأساسي والرئيسي الذي استقطب معظم الرحالة المغاربة المتوجهين إلى المشرق الإسلامي "فالرحلة إلى المشرق بمعناها الواضح إلى التوجه إلى الحج في أساسها ومن المتعارف لدى المغاربة إلى الآن أنهم يقولون ذهب إلى الشرق وهي في نظرهم بمعنى تأدية فريضة الحج"، فالهدف الأول من طريقهم إلى الشرق هو أداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة".[2]

ولا ننسى من كل هذا أيضا زيارة قبر الرسول ﷺ وزيارة المساجد كالمسجد الأقصى وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء في كل بلدان بغداد، سوريا وغيرها.

---

[1] علي ابراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص12.

[2] الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المدني، منشورات عكاظ الرباط، 1990، ج1، ص69.

وقد كان أساس خروج الحسين الورثيلاني في رحلته إلى المشرف هو واضح في آداء فريضة الحج، ويقول في رحلته "اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج، وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة وألف (1179هـ/1766م) مع إجابة وتلبية للخليل –عليه السلام– حين قال له الله تعالى "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق" (الحج: 27) حدث لنا العزم بإذن الله تعالى".[1]

فكان رحلته عبر البر فحج وعاد إلى الجزائر مما يعطينا نظرة على أن الرحلة عبر قوافل الحج البرية فيها متعة، وكيف كانت تنتقل عبر المسالك والمحطات المتتالية، والتوقف لأخذ قسط من الراحة وشراء المؤونة وجمع الماء والشروب والانتقال إلى وصف القرى والمدن التي كانوا يمرون بها مبينا حالة المناطق الثقافية والعلمية والاجتماعية الرائجة في تلك المناطق في ذلك القرن.

من هنا يعتبر الحج أقوى باعث ديني لشد الرحال قديما وحديثا فهو لن يستغني عنه لحكمة أنزلها الله فبفضله ترابطت أواصل بين المشرق والمغرب، وساهمت بشكل كبير في توطيد الثقافة الإسلامية في كافة المناطق الإسلامية وأقطار البلاد، فما يحدث من تبادل الثقافات والخبرات والتعارف ببيت الله الحرام، خاصة بعد اتساع الدولة الإسلامية "تبادل المعلومات أخبار البلدان بعجائبها وغرائبها، فرغب المسلمون في السفر".[2]

كان المغاربة يتحملون مشاق الطريق ومخاطرها ولم يثنهم بعد المسافة عن البقاع وطول المسالك وكان الواحد منهم يقوم بأداء فريضة الحج مرات عديدة، فبمجرد التغرب على بيت الحرام يحن ويتأجج الشوق للعودة إلى البقاع المقدسة، وقد أدى الرحالة الورثيلاني فريضة الحج ثلاث ثمرات.

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية)، تحقيق محمد خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017، ص11.

[2] عيسى بخيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث (مكونات السرد)، ص17.

- الأولى عام 1153هـ/1740م.
- الثانية عام 1166هـ/1752م
- الثالثة عام 1179هـ-1181هـ، 1766-1768م.[1]

ومن خلال هذه الرحلات توسعت تجاربه ومعارفه خاصة أثناء مكوثه بتونس ومكة والقاهرة وأخذها عن مشايخها الجوهري، خليل الأزهري والحفناوي وغيرهم.

- لغة الرحلة:

تميزت الرحلة في أساسها وخاصة في تحديد اللغة التي هي أساس العمل الأدبي، بحيث يبني عليها الكاتب عمله، ويقوم باستخدامها للتعبير عما يجوب بداخله، وهي تحدد الأسلوب في كتابته وتنتقيه عن غيره في طريقة التعبير وسرد الأحداث، وهذا ما يدفعنا إلى اعتبارها ركيزة العمل الأدبي "فاللغة هي الجوهر المنثور، وأسلوبها عقد منتظم منها"،[2] ولذلك يمكن أن نقول بأن اللغة أصعب خطوة يخطوها الكاتب لتقديم عمله، لذا يجب على من يسرد الأحداث أن يكون ذا زاد لغوي للكتابة وأن يكون في متناول المتلقي فهي الوسيط الأساسي للربط بين أفكار الكاتب وما بداخله والمتلقي أو القارئ لأن "اللغة وسيلة نقل بين الأفكار والوجدان".[3]

وظف الكاتب لغة سردية ليروي لنا أحداث الرحلة فذكر الزمان والمكان لإنطلاق رحلته ثم العودة وبدأها بذكر مناسك الحج قال: "طفنا بالبيت سبع طوفات للقدوم نوينا هذه

---

[1] حيفي هيلالي: الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثيلاني وأبو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديدة، السنة السابعة، ع07، 22 ربيع الأول 30/1429 مارس، 2008، مج 07، ص23.

[2] عبد المالك مرتاض، الكتاب من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص89.

[3] عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، ناحية التحصيل، ط1، دار المعارف، 1986، ص37.

الحركات فأتممناه ولم نبال بما لنا في تقبيل الأحجار من الازدحام، والمورد العذب كثير الازدحام، وبعده أوقعنا ركعتين خلف المقام وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم، وشربنا من ماء زمزم، ودعونا في ذلك كله بالأدعية المأثورة ونظم كلماتها المنثورة، فعاودنا بالحجر بالاستلام ناوين منه السعي، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام.

فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفاء، كما روي عن معدن الصفا وبدأنا بما الله به بدا...،[1] يصف لنا الورثيلاني وصوله لبيت الله والطواف بالكعبة عند وصوله وشربه من ماء زمزم والدعاء، ويذكر بقية مناسيك الحج.

- طريقة سرد الأحداث:

سرد الأحداث عند الرحالة تقوم بتدوين تفاصيلها ونقل الأحداث الواقعية المصادفة للرحالة بأسلوب لا يخلو من التأثر بما عاشه وشاهده وما سمعه وقرأه في الرحلات التي كانت قبله وقد قدم هذه الأحداث متسلسلة من ناحية دينية منها أحداث مناسك الحج، ويذكر الورثيلاني حدث رمي الجمرات: يقول "ولما زالت الشمس توضأنا فخرجنا لرمي الجمار من غير تراخ ولا توازن مبتدئين بالأولى التي تلي مسجد الحنيف، ثم بالوسطى وختمنا بالعقبة فوقفنا أثر الأولين بقدر الإمكان، مجتهدين في الدعاء لنا ولعامة المسلمين وخاصتهم وسائر الأحبة والإخوان، وما نسينا أحدا في ذلك المكان".[2]

وبعد رمي الجمرات يحدثنا عن استقباله من طرف أحد الشيوخ يقول: "دخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن علي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق ولم ينزل إلينا، وقرأ لنا الفاتحة من هناك ونحن بالطريق ودعا لنا وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة"،[3] وصف دخوله لزيارة أحد الشيوخ لأخذ بركاتهم أن يدعو لهم الله عز وجل أن يحميهم في ذهابهم

[1] الرحلة، ص453.

[2] الرحلة، ص468.

[3] الرحلة، 118.

وعودتهم لأهاليهم سالمين، والحكي في الرحلة جاء بلغة واضحة التزم فيه الرحالة بسرد مسلسل مناسك الحج.

- الوصف:

الوصف أخذ جزءا كبيرا من الرحلة وهو الذي يحدد مسار السرد، من خلال وصف الرحالة للأحداث التي عاشها طيلة مساره والشخصيات التي قابلها وتأثر بها وتأثروا به، والأماكن التي زارها مثل مساجد، الأضرحة، القبور، وصف العدالة والتقاليد، وكل ما لفت انتباهه مما هي ليست مألوفة لديه وفي الرحلة اهتم الورثيلاني بالوصف اهتماما واضحا فهو الركيزة الأساسية في هذا الفن، حيث اعتمد عليه بشكل كبير في ذكر البلاد التي زارها والأماكن التي شاهدها أو أقام فيها أو مر بها خلال رحلته، وقد جاء وصفه يتسم بالدقة والوضوح والتركيز على الجزئيات والتفاصيل، كما في قول واصف أحد الأولية: "واد كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة ويذكر أن سيل المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام وأذكر التحية والإكرام يصل إليه وماؤه قبيح جدا إلا أن يكون عقب سيل فيحسن به وأشجار ملتفة ووجدنا جل ماء آباره جيدا لقرب العهد بالسيل".[1]

[1] الرحلة، ص409.

2- البعد الديني في الشخصيات (الرئيسية والثانوية):

❖ الشخصيات الرئيسية:

1- وصف شخصية (شخصية الحاج):

اهتم الشيخ محمد حسن الورثيلاني بوصف الشخصيات التي قابلها في رحلته مركزا على بعض الشخصيات الأساسية، كما قدم لنا وصف لصورة الحاج عند الناس، يقول "المودن" بأن "الرحلة حكاية رحالة ارتحل إلى مكان ما بالجسد أولا ثم بالكتابة ثانيا".[1]

حيث رسم الورثيلاني في صورته كشخصية اجتماعية محبوبة بين أهله وناسه، يبرز هذا في قوله: "انفصلنا على حسن الانفصال ووقع البكاء والصراخ من أهل البلد لما كان من أنسهم بنا إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير والبركة وكل إذ بعد التحيل على المنع من السفر أصلا ورأسا وامتنعت لم يبق إلا الصبر والتسليم لله".[2]

يبدو الرحالة فخورا برد فعل الأهل وبقيت الصورة راسخة في ذهنه طوال رحلته والعمل على أن لا يخيب ظنهم به، وأن يصدر منه كل ما هو جيد ملائم لمكانته كحاج، ولاحظ هذا من الاحتفالات وطريقة الاستقبال التي استقبلوهم بها.

وهذا الاستقبال يبرز مكانته الحاج عند الناس، ومازالت هذه المكانة إلى يومنا هذا، يقول الرحالة "بل فرحوا بنا فرحا شديدا فمنهم من يطلب الدعاء ومنهم من يقول لا تخافوا فلا بأس عليكم ولا ضرر لديكم وشيعونا إلى أن برزنا عن بساتين العمارة وأرونا الطريق التي

---

[1] عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ص202.

[2] الرحلة الورثيلانية، ص104.

نسبق فيها الركب أحسن الله إليهم وأجزل لهم الثواب"،[1] وفي طريق عودته استقبل استقبالا حارا من أهل وطنه.

ومثلما نلاحظ أن بطل الرحلة شخصية واحدة وقد استعمل لذلك ضمير المتكلم بصفة الجمع للدلالة على مكانته الاجتماعية ككلمة: "زرنا"، "أحوانا"، "أصحابنا"، استعمل ضمير المتكلم بصيغة الجمع أو ما يمكن أن نطلق عليه "الأنا النحن"، "لتشهد أحوالنا وتقتبس أنوار أصحابنا".[2]

وهذا الأمر يكشف الغاية من الرحلة فهي لا تكمن في وصف الأحداث والأماكن التي مر بها وإنما للرحلة هدف آخر وهو التربية والتوجه وبيان بعض الأحكام الشرعية التي ينبغي بها توجيه الناس وإرشادهم إلى الخير وهو في كل ذلك يريد أن يكون عمله خالصا لوجهه وعملا متقبلا.

❖ **الشخصيات الثانوية:**

الحياة التي عاشها الرحالة أثناء سفره تستدعي وجود شخصيات أخرى تشاركه في تشكيل صورة كاملة للرحلة، ولذلك فكما وصف شخصيته ونظرة الناس إليه فإنه اهتم بذكر بعض الشخصيات الأخرى ساهمت في بنائها:

- العلماء والأولياء:

إن الحديث عن العلماء والأولياء في الرحلة، تقتضيه طبيعة الرحلة فلكونها رحلة دينية للحج وزيارة بيت الله الحرام قد جاءت الشخصيات دينية مما جعل الرحالة يركز على العلماء والأولياء الصالحين الذين زار قبورهم وأضرحتهم من أجل نيل البركة من تلك الزيارة،

[1] الرحلة الورثيلانية، ص617.

[2] الرحلة، ص810.

قال في زيارته للنبي خالد بن سنان "مشينا لزيارة النبي خالد عليه السلام على القول بنبوته"،[1] ثم بين هدفه من ذكر هؤلاء الأولياء قال "إنما نذكر من ذكر من الإخوان والمحبين وبيان أوصافهم ليتحقق السامع بأحوالهم ويتصف بأوصافهم والأقل أن تحضر لذة بركاتهم".[2]

ولم تتوقف زياراته على الشيوخ وحدهم، بل تعدت لزيارة تلاميذهم وأبنائهم، تعرف عليهم واندمج معهم إذ قال: "واجتمعنا أيضا بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأسا سيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن باباس".[3]

- رفيق الرحلة:

ويقال "الرفيق قبل الطريق"، ويحدثنا الورثيلاني عن رفيقه وهو الشخصية التي تنقل معها الرحالة لبيت الله، والتي زارها وساعدته ووجهته في الطريق وكل من تواصلوا مع الشخصية الرئيسية من قريب أو بعيد، قد يكونون فلاحين تجارا، سماسرة وغيرهم من الأفراد الذين صادفهم في رحلته أشار إليهم بأسمائهم وأسماء مدنهم ومنهم من ذكرهم بأسمائهم"... سيدي علي الحطاب فبتنا عنده"،[4] وقال عن أصحابه الذين فارقهم بعد العودة والانتهاء من تأدية مناسك الحج.

- وصف قطاع الطرق:

كما قام الورثيلاني بوصف الشخصيات التي فيها خير، وصف كذلك الشخصيات السيئة مثل قطاع الطرق واللصوص الذين يعتدون على قوافل الحج للسلب والنهب، وقاطع الطريق شخصية ينفر منها كل من يصادفها لأنها شخصية لا خير فيها، تنقض على

[1] وهو سيدي خالد بن علي بن عمر بن خالد بن زكريا ولي صالح بولاية بسكرة، ويقال عليه النبي سيدي خالد.

[2] الرحلة، ص178.

[3] الرحلة، ص15.

[4] الرحلة، ص784.

الحجاج في رحلتهم وتسلبهم ما يملكون من متاع وأموال وكنوز، وكل ما يملكون من أمتعة، وقد ذكر الكاتب في رحلته تعرضه لقطاع الطرق ووقوع بعض الحجاج فريسة لهم خاصة للحجاج الذين يكونون في آخر القافلة، وهذا ما يشر إليه في قوله "وقع الصياح في آخر الركب أن فلانا وأصحابه قد أخذه اللصوص...، فلا ترى أحدا تأخر إلا أخذ وسلب أو هلك".

أما بالنسبة للآخر الكافر فهو غير موجود بكثرة ويعود ذلك إلى أن الرحلة تجرى في مناطق إسلامية "الجزائر"، تونس، ليبيا، مصر، البقاع المقدسة، ولكن من خلال تقنية لاسترجاع يحدثنا عن رحلته السابقة للحج عام 1096م، وما شاهده على يد الكفار في تلك المدينة حيث قال: حاصرها الكفار دمرهم الله تدميرا وذلك أن يوم نزولنا بها بمنزل الركب اثنتين وعشرون سفينة فأقاموا عليها دمرهم الله بقية الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وأهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم ونكد جسيم وعناء شديد ليس فيهم مدبر ولا ذو رأي حميد أو نظر سديد بل أخذوا في نقل أمتعتهم من المدينة لخارجها وحريمهم، ولما رأينا ذلك تكلمنا مع وجوههم على فعلهم غير اللائق فيما يبدوا لنا من إظهار الجزع والجبن لأعداء الله الكفرة".[1]

2- البعد الديني في الزمان والمكان في الرحلة:

الرحلة في أساسها تقوم على بنية الانتقال والسفر مع تدوين الأحداث التي جرت والزمن الذي استغرقته.

إن الشخصية في الرحلة تكون متنقلة ولا تستقر في مكان واحد ويكون انتقالها وفق زمن محدد فمن غير المعقول أن نجد شخصية تعيش خارج الزمن، فالزمن يحيط بنا

[1] الرحلة، ص189.

وبأعمالنا "يقتفي آثارنا حيثما نكون وتحت أي شكل بل حيثما استقرت بنا النوى، وعبر أي حال نلبسها في الزمن كأنه هو وجودنا نفسه".[1]

وتقوم الرحلة على بنية زمانية ومكانية فهما جزاءان أساسيان للسرد وتتبع المراحل والأماكن التي مرت على الرحالة فلا يمكن التخلي عنها.

- البعد المكاني:

تشمل الرحلة عدة أماكن يستسيغها الرحالة وتوصف في رحلاتهم، فرحلة الشيخ الحسين الورثيلاني انطلقت من بني ورثيلان البلد الجزائر وصولا إلى البقاع المقدسة، بغية الوصول للأماكن المنشودة مرورا بعدة مدن وبلدان بدأ بتونس المجاورة ثم ليبيا ووصولا إلى مصر.

أ- المكان الرئيسي للإنطلاق:

بدأت الرحلة في عملية الانطلاق من قرية بني ورثيلان المكان الذي ولد فيه الشيخ حسين الورثيلاني وترعرع به وسط أهل قريته، حيث عاش حياة هادئة، ومن حبه بمنطقته وأهله يقتله الشوق والحنين إلى القرية وأهلها بعد الفراق والابتعاد عنها لعدة أيام طوال ويكن كذلك حبه لوطنه عندما يسافر خارج البلد حيث قال:

حَقِي عَلَى الأَوطَانِ بِالرِعَايَةِ * وَحَقِهِمْ عَليَّ بِالهِدَايَةِ**

مَا أَصْعَبُ توّدِيعَ الأَحْبَابِ * وعِنْدَهُ بِالْحُزْنِ واكْتِئَابِ.[2]**

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ديسمبر، 1998، ص199.

[2] الرحلة، ص105.

فبدأ بزيارة الشيوخ والعلماء والأولياء الصالحين قبل دخوله مكة وهذا في عدة مدن من بلدنا الحبيب منها: بسكرة، قسنطينة...إلخ.

قال "قد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها أيضا مع أهل الفضل والعلم وزرنا أيضا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمان الأخضري في قريته المشهورة فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره... وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالد".[1]

ليودعهم ويأخذ البركة منهم كلما سافر بعيدا عنهم، وكذلك زار المساجد والأماكن المقدسة قال "زرنا مسجدا وطلعنا في مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء".[2]

وكثرة المساجد وتزيينها في المشرق بينما في المغرب نجد المساجد تغلب عليها أنها بسيطة في منشئها وعدم الإكثار من الإنفاق في عملية البناء والتشييد، وربما هذا ما يجعله أن المقارنة بين المساجد المشرق والمغرب، ويستنتج إلى أن المغاربة في البساطة وعدم المبالغة في تزيينها، كما أنه أقام عدة علاقات وطيدة مع مختلف المجتمعات التي زارها وتعرف على علماء وفقهاء وشيوخ.

- المكان الآخر:

هو المكان الذي يفصل بين مكان الانطلاق الأصلي إلى غاية دخول المكان المتبقي وبما أن الرحلة حجازية (أي زيارة البقاع المقدسة يقسم المكان إلى صنفين: مكان مقدس، ومكان غير مقدس، وبما أن المكان المراد التوجه إليه بين الله الحرام مقدس فإن المكان الغير مقدس هو قمة الوصول.

---

[1] الرحلة، ص16.

[2] الرحلة، ص17.

المكان الآخر وهو الجسر الذي عبره الرحالة أثناء رحلته وفق المناطق المحدد المرسومة لاتجاه الهدف، وتشمل عدة دول مترابطة للوصول إلى المكان المراد الوصول إليه، انطلاقا كما ذكر سابقا تونس، ليبيا، مصر وكلها دول إسلامية ما يجعلها متشابهة من حيث الدين الواحد وفهم اللغة إلا أنها تختلف في العادات والتقاليد.

مما يجعل الرحالة يرتبط بنماذج بشرية أخرى جديدة ويتعرف على أفكارهم وثقافتهم وكل ما هو مخالف عن وطنه في مسيرته، "وهذا ما يجعل المكان ليس فقط للعبور، وإنما للتزود بالزاد والمعلومات والحكايات وما مر عليه من تجارب، مما يجعل العبور أخصب مرحلة في الرحلة، نظرا لتعدد الأمكنة، وتنوع التجارب من جراء اللقاءات والمفاجآت".[1]

وعند خروج الرحالة ومفارقة حدود وطنه يبدأ إحساسه بالغربة، ويصبح أكثر توترا ما ينتظره من صعاب وأخطار بالطريق، ومن الممكن أن الرحالة يواجه مشاق في أماكن معينة كالجبال وقطاع طرق وتقلبات الجو وأخرى تكون آمنة بلا خوف أي ما يجعلها تقسم إلى قسمين:مكان إيجابي ومكان سلبي.

- المكان الإيجابي:

يحدده طبيعة المكان سكان المنطقة التي زارها الرحالة وارتبط بهم واحتك بهم وما لاحظه من معاملة سواء جيدة أو غير لائقة، وطريقة الاستقبال من طرفهم، والأماكن الإيجابية التي بقيت راسخة في ذهن الورثيلاني هي بلاد قسطيلية التي عبر عنها بإعجابه نحوها.

"قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب وفيها مسجد محكم البناء وأسواقه كثيرة حولها رياض واسع".[2]

---

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص221.

[2] الرحلة، ص775.

هذه الصورة التي قدمها الرحالة لهذا الصرح يجعله يحمل عدة دلالات العظمة والقوة لما تحتويه من جوامع وأسوار ومباني وله عدة نظرات في عدة مدن زارها لما فيها من عجائب القدرة الإلاهية "مدينة تبرسق قرية ذات مياه ومزارع وبساتين ذات زرع وكثيرة الأسواق يأتي إليها الزوار من بعد عام ممتلئ فيها يباع كثيرا، وقد التقى ولد المحب في الله قائد بنور قائد تلك القرية أحسن إلينا من حيث الضيافة والنزل وأعد أجمل المأكولات والولائم".[1]

- المكان السلبي:

السلبية ترتبط بالأشخاص الساكنين فيه والعابرين ويسميه الرحالة بالمكان السلبي لما صادفه من ظلم وقهر، فيهان أو يسلب منه ماله وهذا ما يجعله يقول فيه أو عنهم "غريبة عرب هذا الجبل من أشد العرب كفرا ونفاقا لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله ليس عندهم من الدين إلا اسمه لا حرفة لهم بعد تنمية المواشي إلا النهب والغارة".[2]

ومما يلاحظ أن الرحالة لم يتكلم عن المكان وإنما تكلم عن أهله وبسوء أخلاقهم وشجاعة أعمالهم من ظلم وجبروت على الزوار، وهذا ما يتركنا نتكلم ونطلق عليه صفة المكان السلبي، فهو مكان غير مهيأ للراحة إلا أنه ملزم عليه بالمرور للوصول إلى الهدف المنشود وعليه بتحمل كل ما يحصل له بالطريق أثناء هذا السفر.

- المكان الهدف (الوصول والإلتحاق):

عند سماع مكان الهدف بعد عناء السفر يشعرك بالتفائل والراحة النفسية التي تجوب بخاطرك والإحساس بالراحة الجسدية بعد العناء والمشاق وما حصل لك في الطريق وما ألم بك من مخاطر، فكان الوصول إلى البقاع المقدسة سببا في زوال كل تلك المتاعب وتحول

[1] الرحلة، ص787.

[2] الرحلة، ص270.

مشاقهم إلى راحة وسكينة "فدخلنا البقاع في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل قد زال التعب والنصب كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله بل الأرواح قد تجلى عليها ربها فخرت صعقة مغشية عليها".[1]

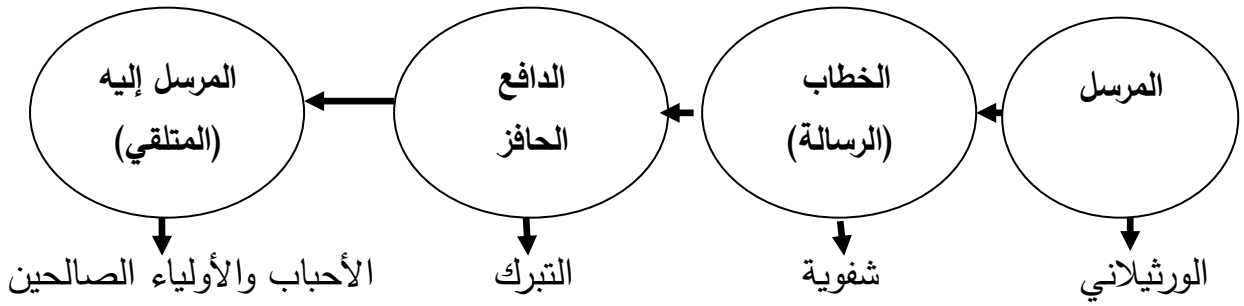
يصف البهجة والنعمة عند رؤية مكة المكرمة ويغمره الدهشة بعد رأيته لقبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ويقول:

"ذهبنا إلى الحرم الشريف والمسجد إلى أن وصلنا فدخلنا من باب السلام على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، ولقد تاه القلب في الجلال، والبهاء والكمال وانبسط علينا النور في الحال فاطمأن الفؤاد وطاب الحمد والثناء على الوصول إلى روضة المتعال".[2]

- إستراتيجية مسار الرحلة:

يمكن اختصارها في المراحل التالية:

تحضيرات ما قبل الرحلة:



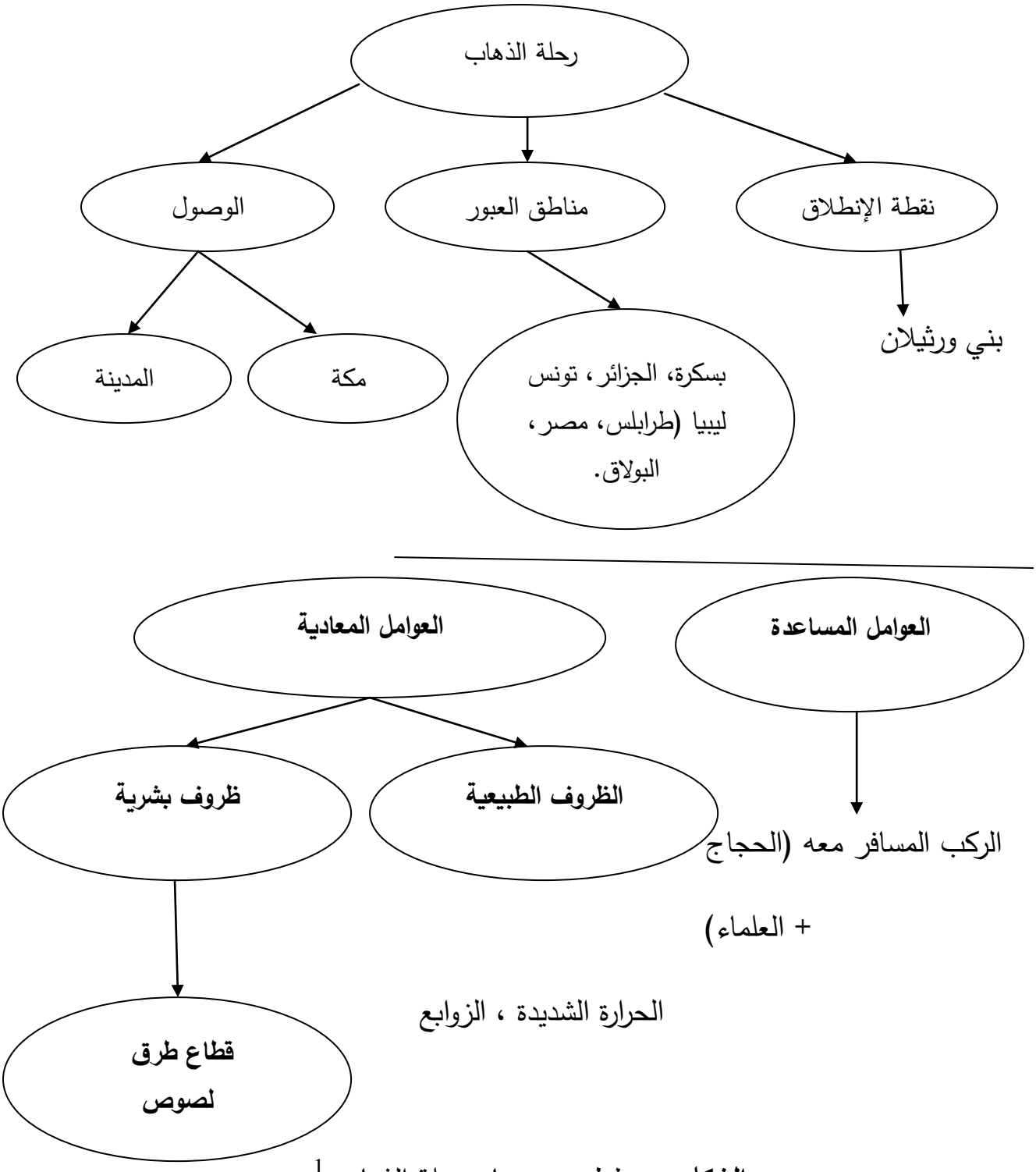
الشكل: مخطط يبين مسار الرحلة.[3]

[1] الرحلة، ص452.

[2] الرحلة، ص530.

[3] بلحاج ربيحة، أدب الرحلة الجزائري، النص والبنا الثقافية، أطروحة دكتوراه، المركز الجامعي بلحاج بوشعيب- عين تيموشنت، 2020/2019، ص85.

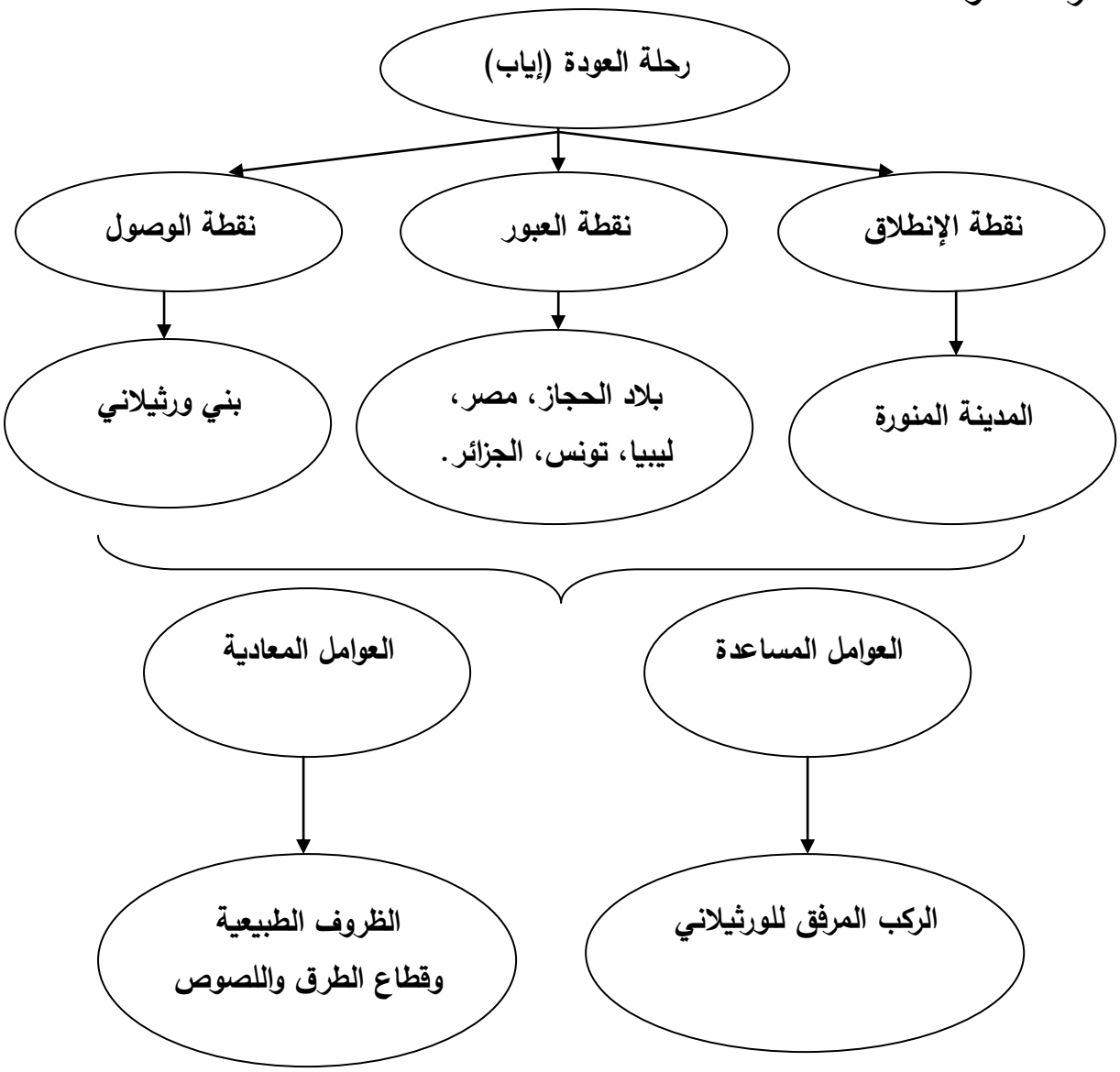
رحلة الذهاب:



الشكل: مخطط يبين مسار رحلة الذهاب.[1]

[1] بلحاج ربيحة، المرجع نفسه، ص86.

- رحلة العودة:



شكل: رحلة العودة.[1]

- علاقة شخصية البطل بالشخصيات الثانوية:

أي رحلة من الرحلات إلا وقد تعددت شخصياتها، فالشخصية الرئيسية (بطل) يقابله، أيضا شخصيات ثانوية، لأن "تميز الشخصية الرئيسية، يحيل على وجود شخصية ثانوية".

[1] بلحاج ربيحة، المرجع نفسه، ص87.

تعد شخصية البطل في الرحلة، وهي الشخصية الأساسية التي تدور حول محتواها الشخصيات الثانوية والتي ما هي إلا شخصيات من الواقع التي تمثل الآخر لذلك ذكر الرحالة أسمائهم وتارة يلمح إليها تلميحا، وذلك حسب ما يقتضيه الحال.

- البعد الديني الزماني في الرحلة:

أ- التتابع:

المعلوم في أن الشخصية في الرحلة هي شخصية متحركة ومتنقلة بالضرورة داخل فضاء لا يمكن أن تكون في حركتها فيه إلا مرتبطة بزمن فليس من المعقول أن نجد شخصية تتحرك أو يعيش خارج الزمن، فالزمن يحيط بنا وبأعمالنا "يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخطى، بل حيثما استقرت بنا النوى، بل حيثما نكون وتحت أي شكل، وعبر أي حال نلبسها فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه"،[1] وتلك حقيقة ثابتة لا تختلف فيها اثنان فهو الإنسان في هذه الحياة من أجل أن يؤدي رسالة، فللزمن إذا أهميته على مستوى حياة الإنسان، كما له أهميته على مستوى الأعمال الأدبية السردية، فالعلاقة بين الأحداث وزمن السرد وطبيعته، مما يجب على الدارس أن يقف عليه وفق التقنيات الحديثة التي تؤكد على أهمية الزمن في كل عمل سردي يحمل في داخله حكاية مهما كانت طبيعتها، فالتوجهات النقدية الحديثة اليوم أصبحت "تعتبر الحكاية مقطوعة زمنية مرتين زمن الشيء المحكي وزمن الحكاية"،[2] كل هذا يؤكد مشروعية دراسة الزمن في الرحلة خاصة من حيث توظيفه وكيفية استغلاله، باعتباره أن ذلك مبحث كرسه الدراسات البنيوية باعتبار العمود الفقري لكل عمل أدبي".[3]

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص199.

[2] نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، ص73.

[3] حسين خمري، ص92.

ولما كان الحديث هنا يتعلق بالرحلة الحجية، فإن طبيعة الحيز الزمني ستكون خاصة إذا الأمر يتعلق بفترة زمنية مقدسة معلومة البداية ومحددة النهاية، فيها تتطهر البدن من دنس السنين "فمن حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه".[1]

وهذه الفترة المحددة شرعا تفرض على المسلم المقبل على الحج أن يتميز عن غيره بأخلاق يجب أن يتحلى بها فـ "الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى".[2]

وعليه فإن الرحالة تجده حريصا على ذلك كل الحرص، وينظر إلى الزمن نظرة قائمة على احتساب أيامه ولياليه بدقة، لأنه يعلم علم اليقين أن أي تأخر سيلغي الهدف من الرحلة كاملا، وهذا وحده كاف ليأخذ الزمن في مثل هذه الرحلات مكانة أساسية على غرار الرحلات الأخرى، باعتبار أن "الرحلة هي نص زمني بامتياز، سواء كانت البنية من أجل التاريخ أم بقصد إبراز الحرص على إمداد القارئ بوقائع حقيقية ذات مرجعيات مضبوطة لا متخيلة".[3]

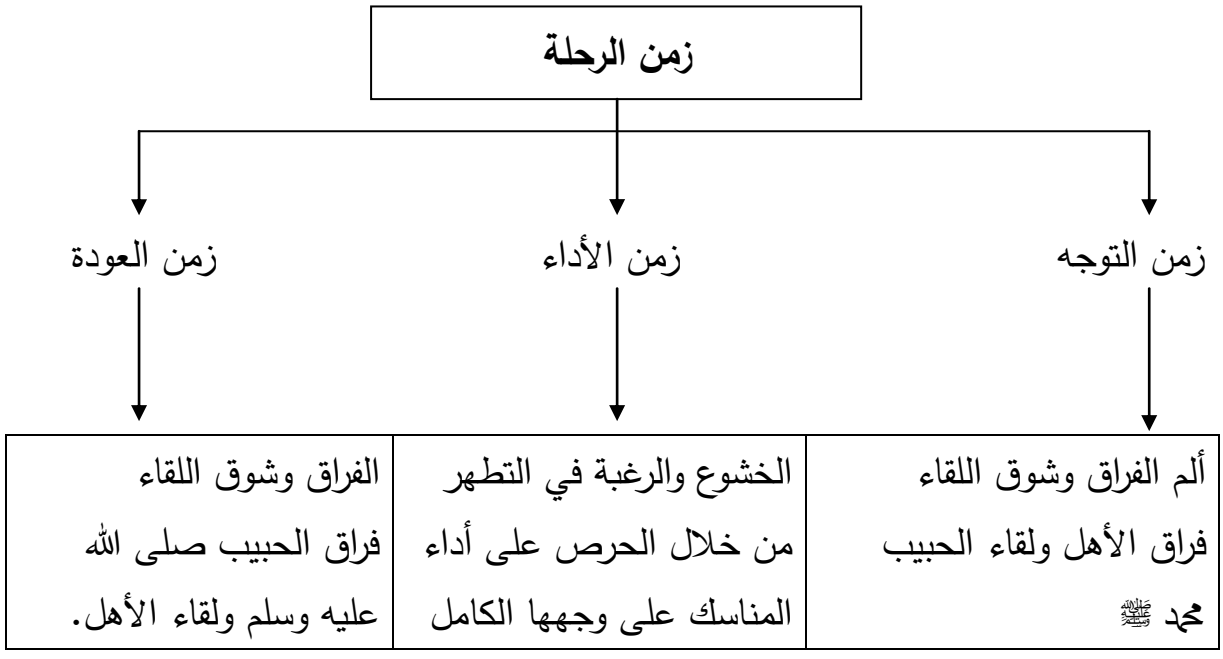
إن التتابع وتعاقب الأحداث يساعد بلا شك على إبعاد التشويش عن ذهن المتلقي من جهة، ويجعل الأحداث أقرب إلى الصدق والموضوعية من جهة أخرى، والواضح أن الورثيلاني لم يخرج عن هذا الخط في كتابة رحلته التي يمكن الوقوف فيها على ثلاث دوائر كبرى تمثل حلقات الزمن المتتابع الذي جرت فيه الأحداث، ولا شك أن الزمن الأعظم والأهم بالنسبة لمثل هذه الرحلات هو زمن الوسط، زمن أداء الفريضة، الزمن الواقع بين الإحرام والتحلل، إنه زمن الحج الذي من أجله شد الرحال، وهو الزمن المقدس الذي يستوي فيه الناس جميعا في لباسهم وتلبيتهم وتهليلهم وتكبيرهم، ويسبق هذا الزمن زمن يمكن أن نطلق

[1] أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، مطبعة الفن القرافيكي، باتنة، الجزائر، ط4، 1981، ص320.
[2] سورة البقرة، الآية 197.
[3] شعيب حليفي، ص330.

عليه زمن الشقاء والأخطار والمشاهد والتواصل ذلك أن المرتحل للحج لا يصل إلى مراده إلا بعد أن يقطع مسافة يقوم من خلالها برحلة مليئة بالأحداث يزور من خلالها العديد من الأماكن ويبتقي العديد من الأشخاص.

ومثل هذا كثير في رحلة الورثلاني في ذلك ما نقله عن الشيخ أحمد بن ناصر في وصف مسجد بسكرة قائلا "قال شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن ناصر ما نصه بعد ذكره كلاما يخصه، وزرنا مسجدا وطلقنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وإدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه... مع أن هذه المدينة من أعجب المدن وأجمعها لمنافع كثيرة... كما قال الإمام العياشي في رحلته ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصل ولا أجمع لأسباب المعاش".[1]

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا يمكن إبراز الدوائر الكبرى التي تمثل الزمن المتتابع لهذه الرحلة والحالة التي يكون عليها الرحالة من خلال الشكل الآتي:



[1] الورثيلاني، المصدر السابق، ص117.

- زمن التوجه:

الزمن هو الخيط الوهمي الذي لا نرى له لونا، ولا نشم له رائحة، ولا نسمع له صوتا، والذي شغل الناس جميعا عربيهم وأعجميهم ماضيا وحاضرا، وقصدنا بزمن التوجه زمن توديع الأهل والخروج إلى الحج حتى لحظة الوصول إلى البقاع المقدسة والذي لا شك فيه أن هناك زمن سابق على هذا الزمن كما أشرنا من قبل، وهو زمن يرتبط بالرحلة استغرقه الرحالة في الإعداد من خلال رحلة داخلية قبل الانطلاق في الرحلة الفعلية نحو البقاع المقدسة، زار من خلالها –زيارة مودع– العديد من رجال العلم والشيوخ من المتصوفة والفقهاء، كما زار ضرائح الصالحين والأولياء والتقى بالعديد من المعارف في مسقط رأسه وغيره ممن توسم فيهم البركة واستجابة الدعاء إن هذه الرحلة تعتبر رحلة الاستعداد والتوديع والإعلام بالتوجه إلى الحج وتثبيت نية التوجه إلى الحج طلب للمغفرة من الله تعالى.

وبداية زمن التوجه ارتضى له الرحالة أن ينطلق بيوم المغادرة وانطلاق الرحالة المباركة التي اختار لها يوم الخميس موعدا، وهو ما صرح به قائلا: "نعم خرجنا يوم الخميس لما فيه من اليمن والبركة في كل سكون وحركة، كما روي عنه ﷺ".[1]

وهنا يكمن ملاحظة إهماله التاريخ والشهر، أما السنة وإن لم يذكرها فإنه لم يذكرها فهي معلومة سابقا، وهي كما ذكر في بداية صفحات الرحلة حين وجه خطابا لمتلق مفترض بقوله "اعلم أيها الأخ لما أراد المشي من إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين وألف (1179هـ).[2]

[1] الورثلاني، المصدر السابق، ص107.

[2] الورثيلاني، المصدر نفسه، ص13.

- زمن الأداء :

يمتد هذا الزمن لفترة محدودة، وهي فترة الحج ابتداءا من الإحرام إلى غاية إتمام المناسك والتحلل والإتيان بالزيارات، وهذا يعني أن هناك لحظة زمنية تربط هذا الزمن السابق، وهي اللحظة التي يفرضها المنطق باعتبار أن الزمن المتتابع لا يمكن أن ينقطع أو يتوقف، وهذه اللحظة هي التي يمكن تحديد تسميتها بلحظة الوصول إلى شارة مكة المكرمة نور الرسالة، ولا شك أن هذه اللحظة لها تأثير بشكل أو بآخر في الرحالة، ففيها يخف ضغط عناء الطريق وضغط الماضي والملاحظ أن الرحالة في هذه المرحلة لم يهتم كعادته بتحديد الفترات الزمنية ولم يؤرخ لها تاريخا دقيقا، بل ركز على المناسك وما صاحبها من أحداث متنوعة.

وإن كان الرحالة في زمن التوجه قد عانوا من المتاعب والمشاق وأخطار الطريق وآلام الفراق فإنه بمجرد دخوله زمن الأداء الذي عادة يرتبط بالدخول إلى مكة سيطرت عليه فرحة الحلول بالمكان المقدس والراحة النفسية وهو ما عبر عنه الرحالة وهو مع رفقته على مشارف مكة، حيث الجميع "في فرح وسرور ونشاط كبير فرحا بقرب الوصول إلى الوصال إلى الأماكن الشريفة".[1]

- زمن العودة:

زمن العودة هو دون شك جزء من الوجود، نقطة من نقاطه لا يطول ولا يقصر ولا يتغير ولا يحمل سوى دلالة الاستمرار على مستوى الزمن الطبيعي، وأما على مستوى الرحلة كسفر وانتقال داخل الفضاء الزماني والمكاني يصبح زمن العودة دليلا على الانتهاء من مهمة يفرضها على المستوى المادي، وأما على المستوى المعنوي فقد يطول وقد تقصر بها للحالة النفسية للرحالة وتقلباتها بسبب ما يطرأ من طوارئ أثناء المسير، وهكذا يصبح هذا

[1] الورثيلاني، المصدر السابق، ص443.

الزمن زمنا نفسيا ذاتيا على حد تعبير الدكتور عبد المالك مرتاض، لا يشارك صاحبه فيه أحد"، فالمدة الزمنية من حيث هي كينونة زمنية موضوعية لا يتساوى إلا نفسها إلى تحويل الزمن الطويل إلى قصير في لحظات السعادة.[1]

يمتد زمن العودة في هذه الرحلة على مسافة هي بالتقريب نفس المسافة التي استغرقها رحلة الذهاب مع تغير بسيط حدث داخل أرض الوطن "إذ توجه الركب بعد دخوله أرض الوطن من تونس نحو مدينة قسنطينة هذه المرة، ومنها إلى زمورة ثم بني حافظ، وأخيرا مسقط رأس الحسين الورثيلاني".[2]

والمؤسف حقا أننا ألفنا الورثيلاني في هذه المرحلة كسابقاتها لم يولي اهتمام كبير بالتوثيق الزمني، فلم نجد في الرحلة ما يدل دلالة صريحة على تاريخ إنطلاق رحلة العودة، إلا أنه يمكننا أن نعتبر انطلاقها مباشرة بعد إتمام المناسك.

- الترتيب الزمني:

خاصية باعتبارها من الأعمال السردية، فقد جاء الخط الزمني في الرحلة الورثيلانية خاضعا لتتابع كغيرها من السرد العربي الموجود في معظم البلدان العربية، إذ المعلوم أن السرد في الرحلة عموما "قريب جدا من السرود التي ترعرع في حضنها وارتوى معها من نفس المعين وخصوصا التاريخ وأيام العرب والوقائع، ذلك أن الخلفية النظرية التي يكتب بها كل من المؤرخ والراوي والرحالة، تعتمد إثبات يقين مرتبط بالأحداث والآخر بالذات".[3]

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص205.

[2] عبد الرحمان عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 2011، ص35.

[3] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي التجنيس آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د ط، د ت، ص213.

الورثيلاني في هذه الرحلة لم يخرج عن المألوف، فقد سار على نفس المنهج الذي اعتاد كتاب السرد السير عليه من حيث أنهم يعمدون إلى سرد الأحداث متتابعة.

حاول الورثيلاني أن يقدم أحداث رحلية مرتبة على نفس ترتيبها، كما حدثت في الواقع مراعيا فيها الترتيب الزمني وهذا السلوك هو نفسه السائد في الأعمال السردية ما كتبت منها على القرطاس ومتراويا منها عبر أفواه الرواة.

ويمكن الوقوف على هذا من خلال الجدول التالي:

رحلة الذهاب	رحلة العودة
– ذكر خروجنا من بسكرة. – ذكر وصولنا إلى طرابلس. – ذكر خروجنا من مصر. – دخولنا مكة.	– ذكر خروجنا من مكة. – ذكر دخولنا مصر. – ذكر خروجنا من طرابلس. – ذكر وصولنا إلى تونس. – ذكر دخولنا قسنطينة.

ولما كانت أهم ميزة تميز الرحلة هي تعدد مواضيعها، وتنوع أخبارها وتحكم بنية السفر فيها من خلال كثرة الانتقال والحل والترحال، إضافة إلى تنوع الأهداف والأساليب التي أصبحت بحق تعد "نصا متعدد الأنظمة، لغة ولهجة، وأصواتا ومحكيات متعددة المصادر والرواة وهذا التعدد تحكمه بنية السفر المتحكمة في باقي البنى، والتي ساهمت في تشكيل بناء النص".[1]

ويمكن القول أن الرحلة في حقيقة أمرها إلا قصة رحلة قام بها أمرا مشروعا، وعليه سنحاول فيمايلي أن نقف على بعض تقنيات في الرحلة.

[1] شعيب حليفي، مرجع سابق، ص114.

- الاستباق:

هو ذكر حادثة أو التلميح لها، بمعنى أن يورد الكاتب ما يمكن أن يوحي بها سيحدث لاحقا، وهذه التقنية تجعل لقارئ أو المتلقي في موقف المتابع المنتظر لما سيقع وكيفية وقرع الأمر، والسابقة كما يعرفها أهل الاختصاص "عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي سبق الأحداث".[1]

- والاستباق آلية من آليات السرد، تدفع الكاتب إلى قلب نظام الأحداث عن طريق تقديم ما حقه التأخير، وهذا يعني أن الاستباق يتجاوز النقطة التي وصلها السرد بمسافة قد تطول وقد تقصر والاستباق نوعان:

- **استباق داخلي:** هو استشراف للمستقبل أو تنبؤ به، لا يتعدى مداه المدى الذي يصله السرد في النهاية.

- **استباق خارجي:** عكس سابقه يخرج مداه عن المدى الذي يصله السرد وللسوابق وظائف متعدد، فقد تتخذ كإشارات وتمهيد الأحداث مازالت في الغيب وينتظر وقوعها لاحقا أو التكهن بمستقبل شخصية من شخصيات العمل السردي.

- الاسترجاع:

هو العودة إلى الوراء لإدراج أحداث سابقة على النقطة التي وصل إليها السرد، ويسمى أيضا الملاحقة "اللاحقة عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد"،[2] ويسميه الدكتور عبد المالك مرتاض "الإرتداد" لاعتبارات لغوية انطلاقا مما جاء في خطبة الإمام علي كرم الله وجهه "ما يمتنع منه إلا الاسترجاع والاسترحام، كما يرى

[1] سمير المرزوقي وجميل شاكر، ص84-85.

[2] المرجع نفسه، ص80.

إلى قوله تعالى "إن لله وإنا إليه راجعون"، ثم إن الاسترجاع في لغة الصناعة يعني إعادة تصنيع المادة المتلفة.[1]

لقد وظف الورثيلاني في هذه الرحلة تقنية الاسترجاع توظيفا مكثفا من خلال إدراجه الكثير من النصوص التي يمكن اعتبارها نماذج لما يمكن تسميته السردية المصطنعة.

ومن نماذج هذه التقنية في الرحلة ما يمكن الوقوف عليه من خلال ما جاء في السرد الذي يغطي الوحدة الممتدة من لفظة التوديع إلى دخول بسكرة وتوالت الأحداث كالآتي:

- الخروج يوم الخميس لما فيه من البركة.
- المبيت في بني حافظ مع الإشارة إلى كرم الضيافة.
- الرحيل منها لما أصبح الصبح.
- الوصول إلى بني يعلى عند الضحى والمبيت عند زوج صهره.
- التوجه إلى زمورة والمبيت بها ثلاث ليال.
- الخروج منها يوم الأحد.
- المشي من زمورة صبيحة يوم الأحد.
- الوصول إلى أولاد يحي عند المغرب.
- الظعن صبيحة يوم الثلاثاء.
- الوصول إلى قصر الطير عند الظهر.
- الظعن إلى أولاد موسى بن يحي.

[1] ينظر: عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص318.

- التوجه إلى أولاد ناصر والوصول إليهم قرب العصر، الإقامة عندهم يومين.

- النزول قرب بريكة والتوجه نحو قرية مدوكال.

- التوجه إلى بسكرة وحديثه عن الزاب.

4- تداخل الأجناس الأدبية:

يتميز نص الرحلات بظاهرة تداخل الأجناس كما نلاحظه في الرحلة الورثيلانية، بحيث تتوفر على بعض الأجناس الأدبية نجد منها الشعر الذي لا يجب أن يخلو في الرحلة وبنائها، كما تحتاج إلى أجناس أدبية كذلك أخرى تساعد على تقريب وتزيد من مفهوم ما وتوصيل آراء وترفع الغموض عنه.

- الشعر:

الشيخ الحسين الورثيلاني وظف في رحلة أجناس أدبية مختلفة من بينها الشعر، قدمه على هيئة أبيات وقصائد لما جاءت في أحد رحلاته بتوظيفه شعر أساتذته معبرا عن تعلقه وحبه للشيوخ، والعلماء، والأمراء والشخصيات، وهناك من قام بمدحهم ورثائهم زروق البرنوسي،[1] وذلك في أحد قصائده الطويلة كتبها بغرض "مدحه والإستغاثة به لتزول عنا حجب، حيث مدح أحمد الغفلة وكدرات النفس ولعيَّ أرقى إلى مراتب التجليات وأشرب من عين اليقين وأتحلى بحلية المعارف"،[2] يقول:

شغفت بحبه لأنه مذ بدا * يقوم بأوراد ويسعى بأجدر.**

فقد دنقت نفسي بأوصاف مابه * تحلى أمامنا من كل مصور.**

[1] أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى، البرنسي الفاسي، المعروف بزروق الفقيه المالكي المعروف، صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية.

[2] الرحلة، ص247.

من الذي أبدع الإله في رسمه * من أحسن زينة وأحلى تذكر.**[1]

بحيث يصف الرحالة هنا التبرك بالحج وأطلق عليها هذا الاسم لأنها كانت منطقة يجتمع فيها الحجاج بطريق البر من مصر (القاهرة)، وصف أشجارها وثمارها وماءها وهوائها وروعة هذا المكان الباهي، قال:

في بركة الحج ترى * نخلا زها لكن عجب.**

زبر جدا يحكي وما * ثماره إلا ذهب.**

فيها نسيم رائق * بلطفه يشفي الوصف.**

والطير فوق مائها * يشدو بأنواع الطرب.**[2]

كما وظف الشيخ قصائدكما جاءت في رحلته ما قال في سيدي الصادق في هذه الأبيات قال:

يا أيها الإنسان فاعلم قدرهم * لأنهم سحابة مع غيثهم**

قد اخضرت أشجار أهل العصر * وأثمرت فواكها بتمر**

فهم كحضن مانع يلوذ من * له الجناية بحق أو ضمن.**

رحمتهم تعم كل بلد * وسرهم من سر فضل أحمد.**[3]

مدح الورثيلاني بقصيدته هذه الولي الصالح سيدي الصادق وأولاده ووصفهم بأحسن المواصفات والكلمات لما يكنه لهم من حب في قلبه كالفقهاء والعلماء في عصرهم، كما

[1] الرحلة، ص248.

[2] الرحلة، ص383.

[3] الرحلة، ص83.

تحدث عن مكانتهم في نشر الخير والعلم بين أصحاب البلد ووصفهم بالسحابة إذا نزل منها المطر سقيت الأشجار وكثرت الثمار والفواكه.

هناك نصوص أخرى في الشعر قام الرحالة بتوظيفها ولا يكفي الوقت لذكرها تأخذ عينة منها كمايلي:

مدده قد يغني كل من سأل * وجوده قد عم قطرا واشتمل.**

البيت قاله الورثيلاني في (سيدي المسعود).

نزلنا بقابس فشفينا فيه * غليل القلب من شوق أصحابه.**

قاله الورثيلاني في الأحب أبو العباس البرنسي الشفشاوني.

وصلنا إليه واتصلنا بقربه * فلله ما أحلى وصولا وصلناه.**

قاله الورثيلاني في رحلته في زيارة النبي عليه الصلاة والسلام.

وهي كثيرة الأقوال في المدح بهذه الرحلة.

ومن خلال هذه الأبيات نلاحظ أن الورثيلاني نظم عدة أبيات في المشايخ وبعض العلماء والشخصيات ووصف الأماكن كزيارة النبي ﷺ.

- توظيف قصص دينية:

إن دخول القصة على الآداب تأخذ طابعا من الأحداث الدينية، حيث وظف الورثيلاني عدة قصص منها كلما زار مدينة أو قرية حمل في موروثة قصص دينية نذكر منها:

- قصة مدينة القلزم:

القلزم مدينة زارها الرحالة أثناء الترحال وقال عنها أن "مدينة القلزم" نسبة إلى هذا البحر وبجانبها غرق "فرعون" وهو بحر كثير الظلمة لتكاثف البخار المتصاعد منه والشمس لا تطل كثيرا عليه وعظمة أمواجه وأهواله.

ومن القصص الرائجة غرق فرعون، قيل أنه كان في مدينة القلزم مكان يسكنه الحجاج في طريقهم تخفيفا من عناء الرحلة لمكة، وكان ينسب إليها البحر الذي أغرق المولى عز وجدل فيه فرعون وقومه بعدما لاحقوا سيدنا "موسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه".

- قصة بناء الإسكندرية:

تعددت القصص حول بناء الإسكندرية، نذكر منها: هي أن ذا القرنين لما بنى الإسكندرية وضع لها الرخام الأبيض حول الجدران والأرضية فلبس سكانها السواد والأحمر وقبلها لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام، ولم يكونوا يسرحون فيها بالليل من بياض الرخام وكانت الإسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار.[1]

- قصة صوت الطبل:

ذكر أنه "قد قيل أن صوت الطبل الذي وقع به النصر للنبي ﷺ، يضرب هنا ويسمعه من خصه الله بتلك الخصلة العظمى وقد سمعته في الحجة الأولى وفي الثانية وهذه على وشك إلا أن بعضهم يقول هو حوافر الدواب تضرب بأرجلها فتسمع صوتها كالطبل وهذا من تأويل المروج واستبعادا لأن يبقى صوت الطبل إلى الآن إعجازا لقدرة الإله".[2]

[1] الرحلة، ص649.

[2] الرحلة الورثيلانية، ص441.

وهذا مكان يشمل الطريق إلى بيت الله الحرام، عندما يعبرونه سمعوا صوت للطبل ولم يتعرفوا أين هو هذا الصوت (الطبول).

خـــاتمـــة

خاتمة:

عرف الأدب العربي الجزائري مرحلة بارزة بفضل جهود الكثير من الأدباء والمفكرين وعلى رأسهم الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني الذي اهتم بهذه الرحلة، فهي رحلة حجية قادته إلى زيارة الديار المقدسة وأداء فريضة الحج ووصفه ومشاهدته للأمكنة والآثار والمعالم ومن التقى بهم من المشايخ والعلماء والفقهاء رفقة الأصدقاء الأوفياء وسعينا في بحثنا هذا للوقوف عند تفاصيل هذه الرحلة من سرد يتراوح بين الفضاء الوصفي والذاكرة من خلال رحلة يتصدرها قطب البيت الحرام.

فطبيعة البعد الديني يشير إلى الجانب الروحي في حياة الأفراد والمجتمعات وهو يشمل المعتقدات والقيم والممارسات الدينية، التحليل الديني يسعى لفهم هذه الظاهرة من خلال دراسة النصوص المقدسة، التاريخ الديني، السلوكات الدينية.

البعد العقائدي يتعلق بال؟إيمان بوجود قوة عليا، أو مبادئ روحية بالإضافة إلى الإيمان باليوم الآخر ويوم الحساب.

البعد الشعائري ويشمل ممارسات دينية تعبدية مثل الصلاة، الصوم والحج.

البعد القيمي يتعلق بالأخلاق والمعايير السلوكية التي يفرضها الدين مثل الصدق والعدل.

البعد المعرفي يشمل الدين وتفسيره وتطوير المعارف الدينية ومن خلال هذه الدراسة نجد أن أدب الرحلات يظل أحد ألوان الأدب النثري الذي يتيح للقارئ فرصة التفاعل مع بيئات وثقافات وأديان متعددة، كما يتيح للكاتب مساحة لاكتشاف ذاته وتوثيق تجاربه الشخصية.

وقد أظهرت دراسة رحلة محمد الخضر حسين الورثيلانية كيف يمكن للبعد الديني أن يكون محركا رئيسيا لتجربة الرحالة، بحيث يتداخل مع سائر جوانب الرحلة الأخرى، سواءا من خلال الأماكن المقدسة أو الطقوس الدينية التي عاشها الكاتب.

تبين لنا من خلال تحليل النص الرحلي أن البعد الديني لا يقتصر فقط على تفاصيل الظاهرة المتعلقة بالعبادات والأماكن المقدسة، بل يمتد ليشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية التي كانت لها انعكاسات كبيرة على بنية السرد وعلى كيفية وصف الشخصيات والأماكن والأحداث، كما ساهمت النصوص التي كتبها محمد الخضر حسين في إثراء الأدب الجزائري الحديث بإعطاء صورة حية عن الحياة الدينية والإجتماعية في تلك الفترة.

لقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على ذلك التداخل بين الدين والأدب من خلال التركيز على الرحلة كوسيلة لفهم أعمق للقيم الدينية.

وفي الختام نأمل أن تكون هذه الدراسة قد ساهمت في إلقاء الضوء على واحد من أهم الأبعاد في أدب الرحلات وهو البعد الديني وكيفية تأثيره في تطوير هذا النوع الأدبي في الأدب الجزائري.

ومن كل هذا التحليل استنتجنا أن:

- ✓ أدب الرحلة موضوعه فيه متعة وتشويق.
- ✓ الأدب الرحلي فن يخفي الكثير من العناصر في جميع الميادين خاصة الجانب الديني المتنوع.
- ✓ تميزت الرحلة بوقائع حقيقية حدثت فعلا مع الشيخ الحسين الورثيلاني.
- ✓ حب الاكتشاف والتطلع إلى أماكن غير معلومة من قبل.
- ✓ كانت الرحلة فرصة للورثيلاني للقاء العلماء والفقهاء في مختلف المناطق التي مر بها والأخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية مما يدل على أهمية العلم في حياته.

- ✓ كانت الرحلة فرصة للورثيلاني لأداء فريضة الحج مما يعكس إلتزامه بالدين.
- ✓ كشف الرحلة عن تأثير الدين في سلوك الأفراد والمجتمعات، حيث كان الدين حاضر في مختلف جوانب الحياة اليومية.
- ✓ الرحلة فرصة للتواصل القيمي بين الورثيلاني والمجتمعات التي مر بها حيث تبادل القيم الدينية والثقافية.
- ✓ أثرت الرحلة في شخصية الورثيلاني، حيث اكتسب خبرات ومعارف جديدة عززت من إلتزامه الديني وبشكل عام تظهر نتائج المذكرة أن البعد الديني كان محوريا في الرحلة الورثيلانية وأن الرحلة كانت ذات أهمية كبيرة من الناحية الدينية والعلمية والثقافية.

وختاما نرجو أنني وفقت في إنجاز هذه الدراسة شرحا وتحليلا لما هو مطلوب.

قائمة المراجع

❖ **قائمة المصادر المراجع:**

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- الحديث الشريف عن الترمذي.

أولا- المصادر:

1- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الروثيلانية الموسومة "بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تقديم محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908م.

ثانيا- المراجع:

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، بيروت، 1992.

2- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دار، الطبع)، 1983م.

3- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1.

4- أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مطبعة الفن القرافيكي، باتنة، الجزائر، ط4، 1981م.

5- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، الجزء الثاني.

6- الحسين الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1990.

7- أحمد فارس الشدياق، الوساطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوروبا 1834-1857م، حرر وقدم لها قاسم وهي دار السويدي، أبوظبي، ط1، 2004م.

8- الإمام القرطبي، من تفسيره جامع الأحكام الفقهية، جمع وتصنيف فريد عبد العزيز، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

9- برهان الدين الخوارزمي المطرزي، الجزء 1، ط1، دار الكتاب العربي، المغرب.

10- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

11- جلال الدين بن محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالي، ط2، ج1، دار الحديث، القاهرة.

12- خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال المماليك، تحرير المنصف الشنوفي، شركة أوريس للطباعة، تونس، ط2، 2002م.

13- رفاعة الطهرطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم الصغير بن عمار للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1991.

14- سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية والشكل.

15- سميرة أنساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر والهجريين (ق7م، 19م)، الوكالة الإفريقية الإنتاج السينمائي والثقافي، ط1، الجزائر، 2011م.

16- سليمان بن الصيام، أحمد ولد قادة محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، ثلاث رحلات إلى باريس، 1852م، 1878، 1902، تح وتقديم خالد زيادة، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي، بيروت، ط1، 2005.

17- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006.

18- عبد الرحيم مؤدن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر دار السويدي، للنشر والتوزيع، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006م.

19- عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.

20- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، تساؤلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003.

21- علي ابراهيم كردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس.

22- علاء الدين علd أبو الحسن، المعروف بالخازن الباب تأويل في معاني التنزيل.

23- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002.

24- محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، 1952، 1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج4.

25- محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية.

26- محمد علي شاهين، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

27- محمد الصغير بناني وآخرون، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية، شركة دار الأمة، الجزائر، (د.ط)، 2004م.

28- مالك ابن أنس، الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط1، ج1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبوظبي، 2004.

29- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005.

ثالثا- معاجم وقواميس:

1- إيميل يعقوب وسام بركة ومي سيحاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1997.

2- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مج11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، 1979.

4- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة، الرسالة، ط8، ج1، 2005.

رابعا- الرسائل الجامعية والدراسات:

1- بلحاج ربيحة، أدب الرحلة الجزائري، النص والبنى الثقافية، أطروحة دكتوراه، المركز الجامعي، بلحاج بوشعيب، عين تيموشنت، 2020/2019.

2- بورقبة أميرة، أدب الرحلات عند محمد الخضر حسين، بحث مقدم لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، 2013/2012، جامعة أدرار.

3- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه.

4- عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة دكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016/2015.

5- عبد الرحمان عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني.

6- منصور نعيمة، جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة، مذكرة مقدمة لشهادة الماجستير، ضمن مشروع الأدب الرحلي المغاربي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، (2011/2010).

7- نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، ط1، 2003.

خامسا- الدوريات:

1-عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.

سادسا- مجلات:

1- إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، مصر، العدد، 07، 1975.

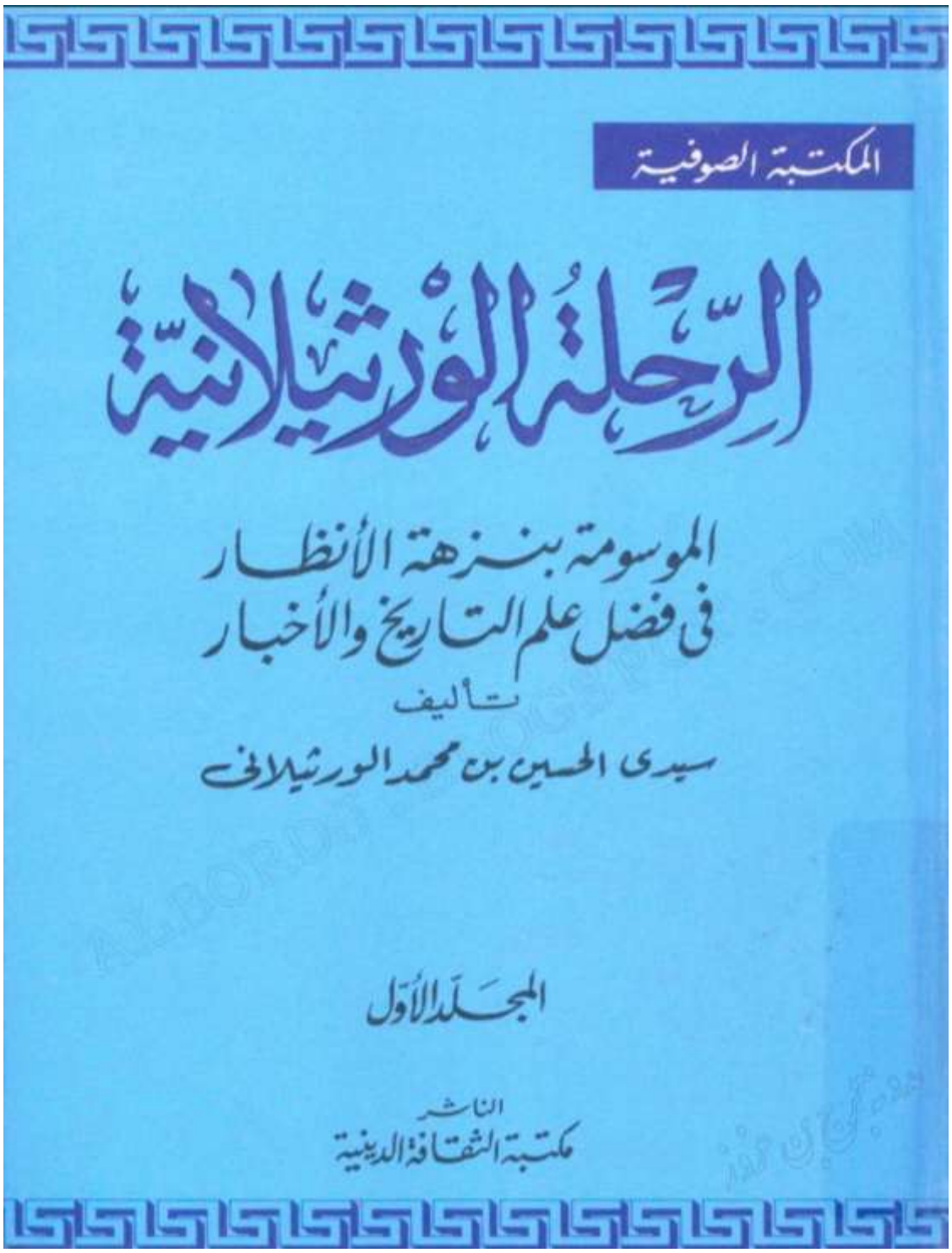
2- حمزة بوكوشة، أربعون يوما في المغرب الأقصى، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد13، 12 أفريل 1948.

3- حنيفي هلايلي (الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثيلاني) وأبو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديدة، السنة السابقة، العدد 07، 22 ربيع الأول، 1429/ 30 مارس 2008، مج 07.

4- محمود بوزور، وافي وحي البرلمان الفرنسي، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد 13، 1 نوفمبر 1974.

الملاحـــق

الملحق رقم (01): صورة غلاف مجلد الرحلة الورثيلانية



الملحق رقم (02): صورة الإمام محمد الخضر حسين



الملحق رقم (03): من خط الإمام محمد خضر الحسين

7694



من خط الإمام محمد الخضر حسين

الملحق رقم (04): الزاوية التي درس بها الحسين الورثيلاني



الملحق رقم (05): خريطة توضح مسار رحلة الورثيلاني.

اللون الأزرق يشير إلى مسار الذهاب

اللون الأحمر يشير مسار العودة



الملحق رقم (06): قبر العلامة الشيخ الورثيلاني.



الملحق رقم (07):

- خريطة توضح رحلة الورثيلاني من قرية بني ورثيلان (الجزائر)إلي مكة.[2]



ترجمة محمد الخضر الحسين الورثيلاني:

هو الإمام العالم العلامة من المشايخة الأخيار الصالحين المتتبع منهج الرسول ﷺ قدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين محي السنة والطاعن في نحو مخالفيها، بركة المسلمين في كل عصر وأوان الحامل للواء الشريعة والحقيقة العالم الرباني سيدي الحسين الورثيلاني، شبه إلى بني ورثيلان قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية "الجزائر" كان رحمة الله عليه مجاب الدعوة.

تراه يصلي ليله ونهاره * يظل كثيرا الذكر لله سائحا**

متعلق بربه متوكلا على الجبار الخلاق ممن رأى النبي ﷺ في منامه فاحتضنه فأول ذلك يزهده في الدنيا ظهرت على يده الكرامات وشهد له أهل الصدق بالولاية الكبرى ونصر به الدين وقطع به دابر الملحدين ولم يزل متضرعا لله في السر والعلن يصدق بالحق صادق اللهجة واضح الحجة قصد الديار إلى البقاع المقدسة مرات عديدة وحجه لا غموض فيه متشبع بالدين.

أخذ العلم ومشايخة وطنه ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج اجتمع واحتك بالشيوخ والعلماء هناك دخل مصر والقاهرة تصرف علماء وتلقن العلوم فاستفاد منهم أمثال الصعيدي والحنفاوي والجوهري والزياتي وابن شعيب الكردي ثم رجع من المشرق بعد تشبع بالعلم فقلم وأناد ومن تأليفه "الرحلة" التي اشتهر بها.

أما وفاته رحمة الله عليه فقد رأى النبي ﷺ، فقد رأى الحق، كما في صحيح البخاري وذكر في الرحلة الورثيلانية وذكر فيها العلماء ورجال الدين والأولياء.

- ملخص الرحلة:

تعد الرحلة الورثيلانية من أروع الأمثلة للرحلات الجزائرية نحو المشرق وبالأخص إلى بلاد الحجاز الذي يعد المقصد الرئيسي لمختلف الرحالة من أجل لقاء الفقهاء والعلماء للتغذي بمختلف أصول الدين والعلوم وزيارة البقاع وأداء مناسك الحج والعمرة، فهي من الرحلات مجمولة الأركان التي ترسخت في عقولنا، وذلك عن طريق تلاميذته من خلال سردها بنفسه، قبل مغادرته الحياة، فهو كان دائم التعلق والارتباط وأثناء ترحاله بالعلماء والأولياء والصالحين لأنه كان رجل دين الذي لم يسبق أن إنجاز عنه لا هو ولا أي مسلم، بحيث يحتك بهم كلما دخل مدينة أو قرية للتبرك وطلب الدعاء وطلب العلم ومختلف العلوم الدينية، بحيث حرص على تنويع معارفه وتنمية ثقافته وتوسيع رقعت عمله في العديد من العلوم كالتفسير والفقه واللغة والتصوف، من خلال الرحلات التي أداها في مختلف البلدان.

عمل الورثيلاني على تدوين الأحداث والوقائع سواءا في الجزائر أو المشرق وذلك من خلال ملاحظاته المباشرة أو نقلا عن كتب الرحالة الذين سبقوه، كما تعبر الرحلة موسوعة رائجة بفضل ما تحويه من أحداث ومغامرات من جميع الجوانب والتمسك بالعادات ونمط الحياة الذي كان رائجا في ذاك الزمن.

الكلمات المفتاحية:

الرحلة الورثيلانية، البعد الديني، الرحلة الدينية، العلماء والفقهاء.

Summary of the Journey:

The Warthilani journey is considered one of the finest examples of Algerian travels to the East, particularly to the land of the Hijaz, which was the primary destination for many travelers seeking to meet jurists and scholars in order to nourish themselves with the fundamentals of religion and various

sciences, as well as to visit the holy sites and perform the rituals of Hajj and Umrah.

It is one of the most well-structured journeys that has been deeply imprinted in our minds, thanks to his students and to his own narration before his passing. He was always deeply attached and connected, throughout his travels, to scholars, saints, and righteous men, as he was a man of religion who had never deviated from it—nor had any true Muslim. He used to seek their company in every city or village he entered, for blessings, supplications, and the pursuit of knowledge and religious sciences.

He was keen on diversifying his knowledge, enriching his culture, and expanding his expertise in many fields such as Quranic exegesis, jurisprudence, language, and Sufism. Through the journeys he undertook in various countries, Warthilani documented events and incidents both in Algeria and the East, based on his direct observations or by citing the works of travelers who preceded him.

The journey also serves as a widely referenced encyclopedia due to the events and adventures it includes from all aspects of life, as well as its reflection of the customs and lifestyle that prevailed at that time.

- **Keywords**:

Al-Warthilani's Journey, Religious Dimension, Religious Travel, Scholars and Jurists.

❖ **فهرس المحتويات:**

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	/
الإهداء	/
فهرس المحتويات	/
قائمة الجداول والأشكال	/
مقدمة	أ
مدخل عن أدب الرحلة	
1- مدخل عام عن أدب الرحلة	05
1- تعريف الرحلة لغة واصطلاحا.	06
2- مفهوم أدب الرحلة.	09
3- أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث.	10
4- خصائص أدب الرحلة.	17
الفصل الأول: المضامين الدينية في رحلة الحسين الوريثلاني	
1- التعريف بالوريثلاني ورحلاته.	20
2- وصف العلوم الدينية في الرحلة (اللغة، الفقه، التفسير)	24
3- وصف الأولياء الصالحين.	28
4- وصف الآثار المقدمة (المدنية، مكة، القدس)	31
الفصل الثاني: البعد الديني في المكونات السردية في الرواية	
1- البعد الديني في المكونات السردية في الرواية	34
2- البعد الديني في الشخصيات (الشخصيات الرئيسية، الشخصيات الثانوية)	36
2-البعد الديني في الزمان والمكان في المرحلة	42
4- تداخل الأجناس الأدبية	58
خاتمة.	64
المصادر والمراجع	66

الملاحق	/
الملخص	/
فهرس المحتويات	/